

اللغة والمجتمع رأى ومنهج

تأليفه

دكتور محمود السمران

الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

الإسكندرية ١٩٦٣

10

مقدمة الطبعة الأولى^١

إن دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة من أهم أبواب الدراسة اللغوية الحديثة قضاء على بعض التصورات اللغوية الخاطئة ، أو غير المجدية ، التي رسبت في عقول الكثيرين غربا وشرقا نتيجة للفلسفات اللغوية التي كانت سائدة قبل أن تصبح الدراسة اللغوية « علما » ، وقبل أن تنضج هذه الدراسة . كما أن دراسة هذه الوظيفة من أقرب المداخل وأيسرها إلى ما انتهى إليه « علم اللغة العام » من « قوانين » ، وما يتخذ من مناهج ووسائل . ولا يقتصر البحث في الوظيفة الاجتماعية للغة على حاضر كل لغة ، وعلى ما يتضمنه هذا الحاضر من إمكانيات قابلة ، بل إنه ليمتد حتى يدخل في دراسته الماضي كذلك مع اصطلاح منهج خاص بكل حال .

ثم إن البحث في الوظيفة الاجتماعية للغة بحث متجدد على مر العصور . وليس المرجع في تجددده وفقا على اختلاف النظر إلى طبيعة اللغة وإلى الباحث وطريقته ، بل إن تجددده لآت كذلك من استعمال اللغة في كل جماعة لغوية فهو استعمال متطور بطبعه . وإن أضخم تطور في استعمال معظم اللغات هو هذا الذي يمر به العالم الآن . فالعالم الآن ، كما يرى الأسعادم . م . لويس ، في غمرة « ثورة لغوية » ، ففي خلال الخمسين سنة الماضية أحدث التقدم في طرق الاتصال المادي - كالتليفون ، واللاسلكي ، والطيران والراديو ،

(١) ظهرت الطبعة الأولى في يونيو ١٩٥٨ ، طبع المطبعة الأهلية بمدينة بنغازي ، ليبيا .

والتليفزيون ، والسبينا ، والصحافة .. الخ - تغيرات كبيرة في الحياة الاجتماعية البشرية ، ولم يكن نمو الاتصال اللغوى أقل إحداثا لهذه التغيرات . ثم يقول لويس : إننا لانزال في بدء ما لا بد أن يكون تغيرات كبيرة في وظائف اللغة بالنسبة إلى البشر ، فنحن نشهد الآن ، لأول مرة في التاريخ ، إمكان القضاء على الأمية في العالم بأسره ، وإمكان استماع الناس جميعا في نفس اللحظة إلى نفس الصوت ، أو قراءتهم نفس الكلمات ، كما نشهد منافسة الكلمة المسموعة للكلمة المقروءة .^١

وإن ما أصاب الحياة الحديثة من تعقد ومن ضيق التخصص في مختلف الميادين قد نشأ عنه كثير من « اللغات » الخاصة التي يجب أن يعنى بها الباحث اللغوى . ثم إن اشتداد اتصال المجتمعات الحديثة بعضها ببعض ، على صورة لم تحدث من قبل في التاريخ ، جعل كل مجتمع لا يخلو من التأثير بلغة سواء .

ولقد ازدادت العناية في الوقت الحاضر بدراسة اللغة خدمة لميادين كثيرة من ميادين الفكر كان يظن حتى الآن أن دراسة اللغة غير ذات أهمية بالنسبة إليها . وإذا كان من الواجب علينا أن ندرس اللغة لفهم الفكر وثماره فمن الواضح أن علينا ، من أجل أن نفهم اللغة ، أن ندرس عملها في المجتمع .^٢ ولقد أخذت في العناية بهذا الموضوع منذ سنوات حين كلفت بالقاء

M.M. Lewis; Language In Society; pp. I-II; Thomas Nelson and Sons. (١)
Ltd., Printed in Great Britain, 1947.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٩

محاضرات في علم اللغة على طلبة معهد العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، وواصلت العناية به من بعد فتميت ما كنت بدأت به ، وزدته تحقيقاً ، وقدمته للنشر في العدد الأول من مجلة كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية ببنغازي و كنت معاراً من جامعة الإسكندرية للتدريس بها ، وكان المتوقع أن يصدر هذا العدد في يونيو ١٩٥٧ ولكنه تأخر عن الصدور لأسباب فنية ورأيت أن أنشره كذلك في صورة كتاب حتى يطلع عليه عدد من القراء أ كبر . والكتاب لا يزيد عن البحث المنشور في المجلة إلا بهذه المقدمة الوجيزة وبفهرس يبين محتوياته .

وليس المقصود بهذا البحث الإحاطة بجميع المسائل التي تندرج تحت « اللغة والمجتمع » ، فهذا أمر يحتاج إلى أن يتعاون فيه جماعة من الباحثين ، فان وجهتي أن أوضح المشكلة ، وأن أبين منهج دراستها بالتطبيق على بعض الأمثلة مع العناية بالإشارة إلى مجالات جديدة يمكن أن يطرقها البحث اللغوي العربي .

بينت في الفصل الأول أن اللغة « وظيفة اجتماعية » وليست مجرد وسيلة لتوصيل الفكر أو التعبير عنه ، ثم رسمت بإيجاز منهج دراسة هذه الوظيفة الاجتماعية . وشرعت من بعد في تناول طائفة من المسائل الرئيسية التي تبرز عمل اللغة في المجتمع ، فعرضت للسلوك اللغوي للطفل ، ولم أستطرد لأبين السلوك اللغوي للراشد ، والسلوك اللغوي للرجل والمرأة ، مكتفياً بما يرد في هذا من إشارات فيما يلي من موضوعات . ثم وضحت كيف أن اللغة « مميز فردي » و « مميز طبقي » ، ثم أخذت في بيان العلاقة بين اللغة والمتكلمين فتحدثت عن البنية اللغوية والبنية الاجتماعية ، وعن اللغة والجنس ، وعن اللغات المتخلفة ، وعن اللغة والقومية . وعقدت بعد ذلك فصولاً لجلاء استعمال اللغة في

الحياة السياسية وفي الحياة الاقتصادية ، وفي الحياة الدينية ، معقبا ذلك بما سمعته «الكلام الحرام» . ثم فصلت الكلام شيئا ما في الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر لبيان مدى دلالتها على المستويات الاجتماعية مشيراً إلى اختلاف اللغات في هذا الشأن موضحاً ما تجرى عليه العربية في هذا السبيل . وخصصت آخر فصل في هذا البحث لتناول جوانب من تطور اللغة واللغات مبينا ما بين هذا التطور والعوامل الاجتماعية من صلات .

وقد رأيت أن من المستحسن أن ألحق بالبحث معجماً للمصطلحات الإنجليزية التي استعملتها مع ما أرتضيه من مقابل عربي لها ، فترجمة هذه المصطلحات لازال موضع خلاف بين المشتغلين بالدراسات اللغوية بالعربية هلى قلتهم .

ويسرنى أن أقدم شكرى إلى المطبعة الأهلية ببغدادى على اهتمامها بأن يخرج الكتاب خالياً من الأخطاء المطبعية إلا ما ندر .

محمود السعراى

بغدادى ، يونيو ١٩٥٨

فلسفة الرمز الخميني

مقدمة الطبعة الثانية

يسرني أن أستهل هذه الطبعة من « اللغة والمجتمع : رأى ومنهج » بإهداء للشكر مخلصاً إلى أساتذتي وزملائي وطليقي ورجال اللغة والأدب والاجتماع والصحافة ، أولئك الذين رحبوا بظهور هذا الكتاب منذ سنوات ، وقد دفعني ترحيبهم وما أبدوه من ملاحظات ، إلى معاودة النظر فيه ومداومته ، فكانت هذه الطبعة الثانية المزينة المتقنة .

على أن ما أضفته وما تنقصته لا يمس النظرية التي عرضتها ، وهي أن اللغة « وظيفة اجتماعية » ، ولا يمس تطبيقي لها ، فهو إضافات وتنقيحات تزيل ما بدا في الكتاب ، هنا وهناك ، من إجمال ، وتوضح ما ظهر لي فيه من إبهام ، وتسوق من الأمثلة والشواهد ما يزيد الأفكار الأساسية وضوحاً وقرباً تناول .

وقد رجعت في إعداد هذه الطبعة إلى بعض الكتب والبحوث العربية التي ظهرت من بعد ، وأدرجتها في مواضعها من قائمة المراجع ، كما أضفت إلى هذه القائمة بعض المراجع العامة التي كنت قد أغفلت الإشارة إليها .

كما أحلت في كثير من المواضع ، لاسيما في الفصاين الأول والثاني ، إلى ما فعلته من مسائل علم اللغة ومناهجه في كتابي « علم اللغة : مقدمة للقارئ ».

العربي » الذي أصدرته دار المعارف بمصر فرع الإسكندرية سنة ١٩٦٢ ،
مجتزئاً بهذه الإحالة عن الإعادة والتكرار .

وقد بدا لي أن أزيد فهرس الطبعة الجديدة تفصيلاً وتحليلاً كي يشمل
أصول الموضوعات وفروعها ، وفروع فروعها ، ويبلغ إلى ما بينها من
ترابط وتواصل .

أدعو الله أن يجد القراء في هذا الكتاب شيئاً من نفع ، وأن يوفقنا إلى
خدمة العربية .

محمود السمران

الإسكندرية في ٧ إبريل ١٩٦٣

وظيفة اللغة

أ - يحاول « علم اللغة العام » أن يجد طرقاً لدراسة « اللغة » باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة ، طرقاً تصلح لدراسة جميع الأشكال الكلامية التي تصنعها الجماعات البشرية على اختلافها ، وهذه الطرق لن تكون هي نفسها دراسة للغة مفردة من لغات البشر ، سالفها أو حاضرها أو قادمها . إن هذه الطرق شيء ، أشبه بـ « الألف باء الصوتية الدولية » ، فهذه الألف باء لا يقصر استعمالها على تمثيل نطق لغة بعينها ، ولكنها قد قصد من وضعها أن تكون وسيلة صالحة لتمثيل أي نطق في أي لغة ، فهذا الرمز أو ذاك من رموزها لا يمثل هذا الصوت أو ذاك في هذه اللغة أو تلك ، ولكنه يمثل « نوعاً » صوتياً عاماً . أي أن طرق الدراسة اللغوية أو مناهجها ،

(١) General Linguistics

(٢) International Phonetic Alphabet

(٣) حرف ال «P» مثلاً من حروف هذه الألف باء الصوتية لا يمثل الصوت الإنجليزي الذي ترمز إليه الأبجدية الإنجليزية التقليدية بهذا الحرف نفسه ، وهو لا يمثل الصوت الفرنسي الذي ترمز إليه الأبجدية الفرنسية التقليدية بنفس الرمز ، فمع أن هذين الصوتين يشتركان في الخصائص الجوهرية ، فكلاهما يصدق عليه أنه صوت « انفجاري » Plosive « شفتاني » bi-labial « مسموح » Voiceless إلا أن صوت « الباء » p الإنجليزي يختلف عن صوت « الباء » p الفرنسي ، ففي الإنجليزية يتبع انفجاره نفس شديد ، أما في الفرنسية فلا يصحبه هذا النفس . فإذا استعملنا رمز p لتمثيل النطق الإنجليزي اكتبنا هذا الرمز دلالة من وصفنا التفصيلي لهذا النطق ، وإذا استعملنا هذا الرمز نفسه (p) في تمثيل النطق الفرنسي جاءت دلالة من تعريفنا بهذا النطق تعريفاً كاملاً دقيقاً ، فإذا أردنا أن نمثل هذا الخلاف في نطق هذين الصوتين كتابةً جاز أن ندل على النفس الشديد الذي يميز الصوت الإنجليزي بوضع حرف « صغيرة » على يمين ال P إلى أعلى ، وأن نستبدل =

ينبغي أن تكون مرنة مرونة تيسر استخدامها عند دراسة العربية مثلاً وعند دراسة غيرها من اللغات التي تختلف عنها في أنظمتها الصوتية والنحوية.. الخ، كما ينبغي أن تقترن هذه المرونة بالدقة والإحكام.

والمبدأ الذي يجب أن يراعى في رسم تلك الطرائق المؤذنة بدراسة اللغة تلك الدراسة هو المحافظة على ما يدعو به «دي جروت»^١ اللغوي الهولندي «استقلال علم اللغة»^٢، فلعلم اللغة موضوعه الفرد، وإن «موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها» كما يقول «فرديناند دي سوسير» في «محاضرات في علم اللغة العام»^٣، ولذلك يجب أن تكون مناهج علم اللغة ووسائله وأأسسه «الفلسفية» مستمدة من طبيعة موضوعه، ومتلائمة وإياها. نعم إننا لنستعين بعلوم أخرى في تكويننا لنظرية عامة في اللغة (ومن ذلك استعانتنا بعلم الاجتماع العام، وعلم النفس، وعلم الطبيعة (= «الفيزيكا» أو «الفيزياء»)) وعلم وظائف الأعضاء، وعلم التشريح، والدراسات التاريخية والجغرافية.. الخ)^٤، ولكن فرق بين هذا وبين

= الم دووث تخصيص لتمثيل الصوت القرني : لكل رمز من رموز هذه الألف باء الصوتية «نوع» صوتي.

(انظر في التعريف بـ «الألف باء الصوتية الدولية» الفصل الذي عقدناه لـ «الكتابة الصوتية» في كتابنا «علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي» نشر دار المعارف بمصر، فرع الاسكندرية ١٠٦٢ - من ١٢١ - ١٣١)

(١) De Groot

(٢) The autonomy of Linguistics

(٣) Ferdinand de Saussure : Cours De Linguistique Générale, Quatrième édition, Payot, Paris 1949, p. 317

«la linguistique a pour unique et véritable objet la langue envisagée en elle-même et pour elle-même.

(٤) انظر في هذا ما كتبناه في «علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي» ص ٦٦ - ٧٨

أن تنتقل إلى اللغة من خلال مناهج علوم أخرى ، أو أن نخرج منها على أنها فرع من علم آخر .

ب - لقد سبق أن قامت الدراسات اللغوية على أساس فرع من الفلسفة ، أو فرع من علم النفس ، أو فرع من الأنثروبولوجيا ، أو الخ ، وخلاصة ما أدت إليه هذه الدراسات هو اعتبار اللغة وسيلة للتعبير عن الأفكار والمعواطف والرغبات أو وسيلة لتوصيل الأفكار ... الخ . وإن « هنري سويت » يقدم نوعاً من النظرية الكلاسيكية في اللغة إذ يقول : « إن اللغة هي التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات المنطوقة المؤلفة في كلمات . »^١

و « إدوارد ساپير » يذهب نفس المذهب إذ يقول : « اللغة وسيلة إنسانية خالصة . وغير غريزية إطلاقاً لتوصيل الأفكار ، وتفاعلات ، والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة برائية »^٢ . ولا يزال بعض المحدثين من علماء اللغة ينظرون إلى اللغة هذه نظرة ،

(١) Social Anthropology

(٢) Henry Sweet : New English Grammar : "Language is the expression of ideas by means of speech-sounds combined into words".

(٣) Edward Sapir : Language, An Introduction to the Study of Speech; New York : Harcourt, Brace and Company, 1921, P. 7 :

"Language is a purely human and non-instinctive method of communicating ideas, emotions and desires by means of a system of 'voluntarily produced symbols'".

ويقول ساپير في ص ٢١ من نفس الكتاب :

"Language, as a structure, is on its inner face the mold of thought.

أي « لبن اللغة ، من حيث هي بناء ، هي في هيئتها الباطنة قالب الفكر » .



على الرغم من دراستهم لـ « الكلام الحي » ، ومن استعانتهم بعلم الاجتماع في دراسة اللغة .

ولكن « الأفكار » و « الانفعالات » و « العواطف » والرغبات الخ مصطلحات منقولة من دراسات أخرى غير لغوية في أصلها . ولو جاز أن « الكلام » في بعض استعمالاته تعبير عن « الفكر » فانه ليس كذلك في جميع استعمالاته أو في معظمها ، فليس ثمة توصيل للأفكار أو تعبير عن أفكار في لغة التحيات ، ولغة التأديب ، ولغة التدريب الرياضي والعسكري مثلا ، كما سدى .

إن أصحاب هذه النظرية في اللغة ، على اختلافهم ، يرون أن :
الوظيفة الأساسية للغة هي أنها وسيلة من « الاتصال » أو « التوصيل »^١ ، أو « النقل »^٢ ، أو « التعبير »^٣ عن طريق « الأصوات الكلامية »^٤ .
وأن ما « توصله » اللغة ، أو « تنقله » أو « تعبر عنه » هو الأفكار والمعاني ، والانفعالات ، والرغبات . . . الخ ، أو « الفكر » بوجه عام .

(١) ذهب هذا المذهب كثير من علماء اللغة ، لا سيما أولئك الذين تقوم

- | | |
|-----------------|-----|
| Communication | (١) |
| Transmission | (٢) |
| Expression | (٣) |
| Speech - sounds | (٤) |
| Ideas | (٥) |
| Thought | (٦) |

دراساتهم للغة على أساس « منطقي » ، أو « فلسفي » أو « نفسي » ، أو « رياضي » ، أو « آلي » . يرى هؤلاء أن اللغة لا تعدو أن تكون مرآة ينعكس عليها الفكر ، أو أداة عاكسة للفكر ، أو « مستودعا » للفكر المنعكس ، أو وسيلة لتجسيم الفكر أو التعبير عنه ، إلى أشباه هذا .

١ — وليس هذا الكلام قاصراً على اللغويين القدماء من يونان ورومان ، وعلى لغويي العصور الوسطى ، أولئك الذين خضعوا في تفكيرهم اللغوي لمنطق أرسطو وبعض التصورات الفلسفية ، ولكنه يصدق كذلك على كثير من المناطق الحديثة الذين تعرضوا للغة ومن هؤلاء « چثونز » الإنجليزى فقد قال^١ : إن اللغة تؤدي ثلاثة أغراض :

(١) أنها وسيلة للتوصيل (٢) أنها عون آلي للتعكير (٣) أنها وسيلة للتسجيل والرجوع إلى ما يسجل . ويقول چثونز : « كانت اللغة في نشأتها الأولى تستعمل في الغرض الأول على وجه التصريح إن لم يكن استعمالها فيه وحده . »

٢ — وقد ناقش الأستاذ « أوتويسپرسن »^٢ رأى چثونز فلاحظ أن الاستعمال الثالث للغة في رأى چثونز لا يعدو أن يكون فرعاً ثانوياً من الاستعمال الأول وذلك « لأنه عندما يدّون الإنسان مذكرة عن شيء ما يرجع إليها من بعد ، ومن ثمَّ يستحضر في ذهنه أفكاره السابقة ، فهذا أمر لا يختلف

(١) Jevons : Elementary Lessons of Logic, P 287

(٢) Otto Jespersen : Mankind, Nation And Individual From A Linguistic Point of View, PP. 6-7

في جوهره عن الغاية الأولى للغة . فالإنسان عندما يقرأ مذكراته الماضية يكون هو نفسه ويكون شخصاً آخر في نفس الوقت^١ أي أنه عندما يقرأ الإنسان مذكراته الماضية يكون ثمة « توصيل » .

ويقرر بيرسن^٢ أنه لا يستطيع أن يتبع جفونز في قوله إن اللغة في نشأتها الأولى كانت تستعمل في الغرض الأول - وهو كونها وسيلة للتوصيل - على وجه الخصوص إن لم يكن استعمالها فيه وحده . وكان بيرسن ، قبل مناقشته رأي جفونز هذا ، قد عرض رأياً شبيهاً به لـ « هرمان بول »^٣ وقال بيرسن : « وإن تقارب أبدأ فهما تماماً لطبيعة اللغة ما حصرنا انتباهنا في وظيفتها العقلية بوصفها وسيلة لتوصيل الفكر . ولكن هذه النظرية الجزئية قد رآها (جماعة من) أبرز الباحثين . هرمان بول في خطابه البارع عن *völker-psychologie* (الذي ألقاه في ميونيخ سنة ١٩١٠) يقول عن غرض اللغة : « إن وظيفتها الأصلية أن تكون في جميع الأحوال وسيلة لتوصيل شيء من الأشياء » . كلا ، ما هذا بوظيفتها الأصلية ، وما هو بوظيفتها الحالية . أما فيما يتعلق بنشأة اللغة فقد حاولت في كتابي *Progress In Language* ثم أحدث من هذا في القسم الأخير من كتابي *Language* ، حاولت أن أبين أننا لا نعدو الشروع في الحدس عندما نرى ، بعد اقتفاء تاريخ اللغة إلى الوراء إلى أقصى ما نستطيع ، أن اللغة المبكرة كانت أي شيء إلا شيئاً عقلياً^٤ . عندما نرى أنها كانت حقاً منزلاً

(١) المرجع السابق 6 P.

(٢) المرجع السابق 7 P.

(٣) Hermann Paul

(٤) Intellectual

وسطاً بين الغناء والكلام ، وأنها مجموعة من الأصوات الطويلة والتي تكاد أن تكون غريبة عن المعنى - كانت متنفساً للاحاساس العنيفة أكثر من كونها تعبيراً مفهوما عنها ، وأنها لم تكن في أى حال من الأحوال تعتبر في أساسها وسيلة لإخبار الآخرين هذا الشيء أو ذاك ، ولو أنها ، بطريق غير مباشر ، قد صارت في الواقع آخر الأمر إلى أن تكون وسيلة للتوصل « ١

أما الغرض الثاني من أغراض اللغة الثلاثة في رأى چفونز - وهو أنها عون آلى على التفكير - فقد قال عنه يسيرسن : « من الثابت أن امتلاك لغة من اللغات يساعد حقاً التفكير الإنسانى مساعدة جوهرية . ولكن علينا من ناحية أخرى أن لا ننسى أن جماعة من أعمق المفكرين طالما شكوا من أن اللغة التقليدية كانت في حالات عائقاً لهم عن التفكير في شيء إلى أعمق أعماقه ، فهي بمفرداتها المحدودة ، وبصيغها الثابتة ، قد أكرهت الفكر على أن يسير في سبيل مطروقة ، حتى إنهم اضطروا إلى متابعة السير في خطوط قديمة ، وانتهوا إلى أن يكون تفكيرهم شديد الشبه بتفكير أقوام آخرين من قبلهم . » ٢

وقد خلص يسيرسن من مناقشته رأى چفونز إلى أنه لا يستطيع أن يتبعه في اعتباره هذه الغايات العقلية الثلاث هي الغايات الوحيدة التي تستعمل من أجلها اللغة ، فاستعمال اللغة في هذه الغايات لا يتحقق إلا في حالة

(١) أونويسيرسن : المرجع السابق P. 5

(٢) المرجع السابق P. 7

المفكرين من الرجال والنساء ، ولا يتحقق عند هؤلاء إلا في أسمى لحظاتهم الأكاديمية ١ .

حجج - ولكن هل اعتبار اللغة وسيلة من وسائل التواصل يجوز أن يعد تعريفاً صادقاً للغة ؟ إن دراسة الأنواع المختلفة ٢ « الوظائف الكلامية » في لغة من اللغات « الحية » لا تؤيد أمثال التعريفات السابقة للغة ، ولا نوحى بها .

(١) المرجع السابق P. 7 - اصدقي وزميلتي الدكتور عبد الرحمن محمد أيوب ، الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ترجمة لكتاب يسير من هذا ظهرت سنة ١٩٥٤ بعنوان « اللغة بين الفرد والمجتمع » (ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة) . واسكتنا لم نشأ أن نأخذ عن الترجمة بل أخذنا عن الأصل مباشرة ، فلهذه الترجمة « بتصرف » ، وهذا التصرف بتدرج تحت اختصار كلام المؤلف أحياناً ، وإطالته أحياناً ، وسكتاية بعض الفصول من جديد في ضوء ما كتبه المؤلف أحياناً أخرى لتكون مفهومة لدى القارئ العربي . ثم إن التعليقات التي أضافها الدكتور أيوب - وهي في جملتها تعليقات قيمة نيرة تيسر فهم الأصل على القارئ العربي تفسيراً كبيراً في معظم الأحوال - قد كُتبت في الأغلب مع الأصل دون فصل أو تفويه ، فقدنا من السير أن تعرف أين المؤلف وأين المعلق . وقد كان يسيراً على المترجم أن يضع تعليقاته في الهامش مع التنبيه على أنها من صناعته حتى لا تختلط مع التعليقات الأصلية للمؤلف ، كما كان عليه أن يشير إلى النصوص التي اختصرها ، وإلى تلك التي أطالها حتى يكون القارئ على بينة . نرجو أن يتدارك الدكتور أيوب هذه المسائل في طبعته القادمة لهذه الترجمة . وقد أخبرني في زيارة تسكرم بها علي في ١٨ فبراير ١٩٦٣ أنه ينوي إعادة طبع هذا الكتاب .

وقراءة ترجمة الدكتور أيوب ، في ضوء هذه التعليقات ، تدل كثيراً مما يعرض للقارئ العربي من مشكلات اللغة والمجتمع .

وقد ظهر سنة ١٩٥٥ كتاب لصدقي وزميلتي الدكتور تمام حسان ، الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، بعنوان « مناهج البحث في اللغة » (ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة الرسالة ، القاهرة) ، وقد عرض رأي يسير من في وظيفة اللغة في الفصل الذي كتبه عن « اللغة والكلام » (انظر بوجه خاص الصفحات من ٤٠ إلى ٤٥ من كتاب الدكتور تمام) .

ولقد كان «مالينوفسكى» ، العالم الأنثروبولوجى فضل كبير فى تغيير النظر إلى اللغة ، فقد أدرك عندما كان يدرس بعض المجتمعات التى جرى الاصطلاح على تسميتها بالمجتمعات « البدائية » أو « النظرية » ، أو « الوحشية » ، أن دراسته لن تصحّ دون معرفة الوظيفة التى تقوم بها اللغة فى المجتمع . ومن هنا كانت نظريته الهامة فى اللغة ، والتى كانت بين عوامل تطور النظر إلى علم اللغة . وصل مالينوفسكى بعد دراسته لأمثال هذه المجتمعات إلى أن وظيفة اللغة ليست أنها مجرد وسيلة للتفاهم أو للتوصيل ، بل وظيفة اللغة هى أنها حلقة فى سلسلة النشاط الإنسانى المنتظم ، هى أنها جزء من السلوك الإنسانى ، أنها ضرب من العمل وليست أداة عاكسة للفكر . واستعمال اللغة على هذه الصورة ليس قاصراً على الجماعات « البدائية » بل إنه ليلاحظ فى أرقى الجماعات تمدناً .

واليك أنواعاً من وظائف الكلام تبين بجملة أن الوظيفة الأساسية للغة ليست كونها ضرباً من توصيل الأفكار والخ . وأول ما نذكره من هذا

(١) « المونولوج »^٢ = الكلام الانفرادى بصوره المختلفه ، كالقراءة الانفرادية بصوت عال ، وكتدوين الملاحظات التى لا يريد الكاتب بها إلا

(١) Bronislaw Malinowski انظر الملحق الذى كتبه لكتاب « معنى المعنى »

The Meaning of Meaning من تأليف العالمين النحويين الانجليزيين I. A. Richards و C. K. Ogden

(٢) Malinowski, op. cit , p. 312 :

“In its primitive uses, language functions as a link in concerted human activity, as a piece of behaviour. It is a mode of action and not an instrument of reflection”.

Monologue (٣)

نفسه . والمونولوج يعرف أحياناً بـ « تحديث الإنسان نفسه »^١ ، أو « التفكير بصوت مرتفع »^٢ . إن المرأة المصرية عندما تخلو إلى نفسها - سواء أكانت تقوم بعمل يدوي أم لا - وتنشد الأشعار الحزينة والنثر المسجوع ، باكية من فقدتهم من الأحباب ، لا ترمى إلى « نقل » إحساسات أو « أفكار » ، بل تستعمل اللغة بقصد التنفيس والتفريج عن آلامها وأحزانها . وغريب كل الغرابة أن يرى « ساير » أن هناك حتى في هذه الوظيفة الكلامية ألا وهي المونولوج ، توصيلاً للفكر ، يقول : « المتكلم والسامع هنا محققان في شخص واحد يمكن أن يوصف بأنه ينقل الأفكار إلى نفسه »^٣

(٢) ومن أنواع الوظائف الكلامية التي لا نجد فيها نقلاً للأفكار ، أو شيئاً يمكن أن ينتقل ، كثير من صور استعمال اللغة فيما يسمى بالسلوك الجماعي . فاصطناع اللغة في الاجتماعات الدينية كالصلاة ، والدعاء ، ومخاطبة الله أو « المعبود » أو أية كائنات أخرى مقدسة أبعد من أن يعد نقلاً للفكر .

١ - فالسلوك القوي انذى يصدر عن المصلين في صلاة الجمعة مثلاً - من الاستماع إلى الأذان ، وإلى آيات مرتلة من القرآن الكريم . وإلى خطبة الخطيب ودعائه ، ثم من نية الصلاة والتكبير ، وتلاوة الفاتحة وآيات من كتاب الله ، وتسييح اسم ربهم الأعلى ، والتشهد ، والتسليم - إن هذا السلوك القوي لا يعنى المصلون من ورائه « نقل » أفكار أو أحاسيس ، أو

Talking to one's self (١)

Thinking aloud (٢)

Language, p 18 (٣)

Choric Behaviour (٤)

« التعبير » عن آراء ومشاعر لـ « توصيلها » أو لإفهام مخاطب ، فهم ، عندما يسلكون هذا السلوك الكلامي الذي تتجه به قلوبهم وألستهم وجسومهم إلى الخالق ، لا يتوقعون من الخالق ، جل شأنه ، أن « يرد » على كلامهم : وأن يتصل « الحوار » بينهم وبينه - إلا الحوار الذي هو « مناجاة » ، و « المناجاة » لا يصدق عليها أن غرضها « توصيل » .

إن هذا السلوك الكلامي الذي يصحب الصلاة جزء منها ، وهي لا تتم إلا بهذا الكلام المخصوص يؤدي في نسق معين معروف من حركات الجسم ، من وقوف وركوع وسجود . إن الكلام هنا - سواء ما يصدر عن الخطيب ، والمصلون منه في موقف المستمع ، أو ما يصدر عن المصلين أنفسهم متبعين فيه إمامهم أو غير متبعين - وظيفته في وجه من وجوهه وظيفه حركات الجسم ، ووظيفة الوضوء ، طقوس لا تتم الصلاة إلا بها ، إن وظيفته الحقيقية أنه عنصر من جملة عناصر غايتها « تحقيق » العبادة . أو « أداء » التريضة لا « توصيل » أفكار ، أو رغبات ، أو أحاسيس

٢ - وما قيل عن لغة الصلاة يصدق على لغة « النداء » فالاسترحام والاستغفار والاستنصار ، والاستعانة والاستغاثة والاستجارة ، ورجاء المثوبة وحسن المسآب ، والضرعة للتوفيق والسداد ، والصلاة على النبيين والقديسين والشهداء ، إن هذا وما يجري مجراه مظهر من مظاهر الصلاة بين العابد والمعبود يتمثل فيه ضعف العابد وعجزه وفقره أمام قوة المعبود وقدرته وغناه . (انظر الفصل الثامن بعنوان : اللغة والحياة الدينية)

(٣) وإن ملاحظة استعمال اللغة في المخطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية ، مثل لغة التحيات ولغة التأديب ، والكلام عن حالات ظاهرة كالجبو ،

تؤيد وجهة النظر التي ترى أن تبادل الكلمات يمكن أن يكون غاية في نفسه . وهذا الاستعمال للغة قائم في الجماعات الوحشية والمتعدنة على السواء ، وهو مائل في جميع اللغات دون خلاف . هذا الاستعمال للغة هو في أساسه صورة من صور العمل الاجتماعي ، ووسيلة من وسائله ، ذلك لأن كل كائن بشري يجد في نفسه الميل إلى الاجتماع بسواه . والاستمتاع بصحبة غيره ، والنفور من العزلة الصامتة ، والكلام أقرب مستلزمات تحقيق هذا الميل . قال مالتينوفسكي : « الكلام هو الوسيلة الضرورية للتشارك ، إنه الآلة الفريدة التي لا غنى عنها لخلق روابط اللحظة ، هذه الروابط التي يستحيل بدونها قيام العمل الاجتماعي الموحد . »^١

١ - فلا توصيل ، أو « تعبير » في ترداد عبارات التحية المألوفة التي تجري في كل بيئة كلامية على قوالب معروفة ، فإذا صدرت تحية من المتكلم عرفنا رد المخاطب قبل أن يفوه به ، وذلك مثل : « السلام عليكم » : « وعليكم السلام » أو « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته » : « كيف حالك ؟ » : « الحمد لله » ، « صباح الخير » « صباح النور » « مساء الخير » ورد كل منها مثلها : « أهلا وسهلا » : « أهلا بك » أو « أهلا وسهلا » : « مرحبا » : « مرحبا » : « شرفتنا » : « شرف الله مقدارك » أو « أنت الذي شرفتنا » ، « آنستنا » : « الله يؤانسك » .

إن الغرض الأساسي من هذه التحيات وأمثالها أنها تسلك المتخاطبين

(١) المرجع السابق ص 10 P ، والأصل الانجليزي :

“Speech is the necessary means of communion ; it is the one indispensable instrument for creating the ties of the moment without which unified social action is impossible.”

في علاقة اجتماعية : أنها « واجب » اجتماعي لا مفر من أدائه ، وأن الاستهانة به ، أو التفريط فيه ، تخلق العداوة والبغضاء ، وأن الاسترسال فيها قد تكون غايته الإسراف في التودد والمبالغة في الترحيب ، والاستمتاع بالصحبة والتلاقي ، وقد يكون ستاراً يخفي المشاعر الحقيقية لأحد المخاطبين أو كليهما ، وقد يكون تمهيداً للاخذ في الحديث الأسامي الهام أو استدراجاً إليه .

٢- و « لغة التاديب » في الجماعات الكلامية المختلفة قديماً وحديثاً لا تهدف في الأغلب إلى « نقل » أفكار أو أحاسيس . فمثل : « شكراً » ، « عفواً » ، « للعفو » ، « آسف » ، « لا تؤاخذني » ، « لا مؤاخذه » ، « من فضلك » ، « إذا سمحت » ، « لو سمحت » ، « لو تكرمت » ، « أرجوك » ، « أتوسل إليك » ، وما يرد في لغة الرسائل من مثل : « وتفضلوا بقبول فائق الاحترام وخالص الشكر » . « صديقكم المخلص الوفي » ، « خادمكم المطيع » الخ الأغلب فيها أنها وسائل لتوثيق صلات الناس بعضهم ببعض ، ولتقلل حدة التنازع والتصارع ، فهي مظهر من مظاهر التهذيب والتمدن والتجمل ، وهي في كثير من الأحوال إشارة الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتكلم وتلك التي ينتسب إليها المخاطب ، وقد تجمع إلى شيء من هذا الدلالة على خلق المتكلم وشخصيته ، وقد تكون من أسباب المראה والمداهنة والملق والنفاق .

٣- والحديث عن مجو لا يتقل في أكثره « أفكاراً » أو يحمل « أخباراً » ، فالأوصاف التي يجري بها لسانا المخاطبين بادية محسوسة ، والأمثال التي قد يوردانها عن أثر الجو في الجسوم والنفوس والنبات والحيوان

محفوظة موروثة . إن الغاية من هذا الحديث هي الآف والتعاطف ،
وترجية الوقت ، والتسرية عن النفس ، وانتظار موضوع جديد يتطرق
إليه الحديث ، وأحياناً ينقطع الحديث ولا شيء إلا الجو وقد آنس
المخاطبان كلاهما متعة أي متعة هي متعة الكلام والسماع .

(٤) ومن الوظائف التي تؤديها اللغة مما لا شأن له إطلاقاً بتوصيل الفكر
أو التعبير عنه ، أنها كثيراً ما تتخذ بين الكبار والصغار على السواء ، وسيلة
إلى اللعب بالأصوات ، وإلى التلذذ والانتشاء والسرور . فنحن كثيراً
ما نردد أصواتاً وكلمات غير قاصدين إلا المتعة بأصواتنا ، والانتشاء بلغتنا ،
ودون أن يكون لدينا ما هو جدير بالسماع . وقد عبرت «مدام دي ستايل»
عن هذه الحقيقة تعبيراً بارعاً حين قالت من اللغة الفرنسية - وكلامها ولا شك
صديق على كل لغة من لغات الأرض دون أن يمتنع هذا من احتمال تحققه في
الفرنسية بطريقة أحذق ، وبدرجة أكبر - قالت مدام دي ستايل عن اللغة
الفرنسية : « إنها ليست كما هي عند غيرنا مجرد وسيلة لتوصيل أفكارنا
وإحساساتها ، وشئوننا ، ولكنها آلة يحب الإنسان أن يلعب بها ، وهي
تحرك النفوس كالموسيقى عند أقوام ، والخور القوية عند آخرين »

(١) انظر كتاب إسبرسن السابق PP. 7-8 . وقد نقل إسبرسن كلام مدام دي ستايل

Mme de Staël عن : Gerbet, *Sparche als Kunst*, I. 79

وهذا هو الأصل الفرنسي لكلام « مدام دي ستايل » :

«elle n'est pas seulement comme ailleurs un moyen de communiquer ses
idées, ses sentiments et ses affaires, mais un instrument dont on aime à jouer
et qui ranime les esprits comme la musique chez quelques peuples et les liqueurs
fortes chez quelques autres».

(٥) ومن استعمال اللغة في غير « توصيل » الفكر استعمالها لاختفاء أفكار التكلم ، ومن وقد لاحظنا شيئاً من هذا في « لغة التحيات » و « لغة لتأديب » ، ويتضح هذا الاستعمال بأجلى صورة في لغة السياسة أحياناً ، (انظر شيئاً من هذا في الفصل السادس فيما يلي بعنوان « اللغة والحياة السياسية ») وأحياناً في لغة المصوص والخارجين على القانون بصفة عامة ، وفيما يسمى « الكلام الحرام » (انظر الفصل التاسع) .
وإلى تاليران^(١) الفرنسي تنسب تلك العبارة المشهورة ألا وهي أن اللغة كائنة لتخفي أفكار الإنسان ، وقد حسن هذه العبارة سورين كيركجارد^(٢) إذ قال إن اللغة يستعملها كثير من الناس لتخفي فقرهم إلى الأفكار .

وواضح أن عبارة « تاليران » لا يجوز أن تكون تعريفاً لوظيفة اللغة ، فما ذكره ليس إلا استعمالاً واحداً من استعمالاتها الكثيرة . أما عبارة « كيركجارد » فليس فيها ما في عبارة « تاليران » من تعميم فهي تشير إلى استعمال خاص للغة غير متضمنة أن هذا هو الاستعمال الوحيد لها .

وهكذا نرى أن تلك النظرية الكلاسيكية في اللغة تلك النظرية التي تقصر وظيفة على توصيل الفكر أو التعبير عنه . نظرية لا يمكننا أن نحلل جميع أشكال « السلوك الكلامي »^(٣) ، وأصبح منها وأدق أن ننظر إلى اللغة على أنها

(١) Talleyrand

(٢) Soren Keirkegaard

(٣) Speech Behaviour

« وظيفة اجتماعية » ، على أنها « طريقة من العمل »^٢ ، فما من شك في أن
مما يعيّننا على فهم طبيعة اللغة وجوهرها حق النّهم أن ننظر إلى الدور الذي
تقوم به في حياة المرء ، وفي حياة الجماعة التي يؤلف بين أفرادها الحديث
بلغة مشتركة ، وفي حياة النوع الإنساني عامة .

(١) Social Function

(٢) Mode of Action

— ٢ —

دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة

هذه الوظيفة الاجتماعية للغة كيف يتسنى دراستها؟

أ - إن الطرق التي اقترحت للقيام بهذه الدراسة تختلف باختلاف المدارس اللغوية . وسنحاول فيما يلي أن نرسم خطوط طريقة يرتضيها كثير من علماء اللغة في إنجلترا خاصة^١ وهذه الطريقة صالحة للتطبيق على أية لغة من اللغات « الحية » لدراستها دراسة « وصفية »^٢ . أما دراسة لغة من اللغات « الميتة » ، أو دراسة للغير الذي يعرأ على لغة من اللغات في مرحلة من مراحل تاريخها ، أو في تاريخها كله ، فلكليهما منهجها واعتباراتها . (انظر الكلام تحت رقم (٢) من هذا الفصل)^٣

(١) هذه الطريقة تزد الكائن البشري مركز دراسة اللغة ، ولا تعد ذلك المركز بعض « العلاقات الرياضية »^٤ أو الآلية^٥ ، أو المنطقية^٦ ، أو ما يشبه

(١) من أصحاب هذه الطريقة المتحمسين لها أستاذي المرحوم ج. ر. فirth وقد عرض رأيه في محاضراته وكتاباته ، انظر على وجه الخصوص مقاله القيم « الشخصية واللغة في المجتمع »

J. R. Firth : Personality and Language In Society. The Sociological Review (Journal of the Institute of Sociology, Ledbury, Herefordshire, England) Vo'. XLII, Section Two, 1950, pp. 37 - 52.

Descriptive (٢)

(٣) انظر تعريفنا للدراسة اللغوية الوصفية ، وللدراسة اللغوية التاريخية ، في كتابنا « علم اللغة مقدمة للقارئ العربي » ص ٢٦٢ - ٢٦٦

Mathematical Relations (٤)

Mechanical (٥)

Logical (٦)

من علماء اللغة على أن العدد الأدنى للحصول على فكرة صحيحة عن اللغة فهو اثنان من أفراد الجماعة الكلامية : متكلم ومخاطب ويرى الأستاذ إيرث أن العدد الأدنى في هذا السبيل شخص واحد ، وإن كان يسلم بأن اعتبار الحد الأدنى شخصين صالح للوفاء بمعظم الأغراض^(١).

(٢) هذه الطريقة تؤرخ للتطور اللغوي للشخص في الجماعة منذ ولادته ، لا بل إنها تدخل في حسابها أن الطفل يولد على طبيعة خاصة ؛ ومن أهم ما في طبيعة الكائن البشري مما يتصل بدراسة اللغة ، الجهاز العصبي^(٢) ، وبعض الصفات الوراثية ، وأعضاء النطق . ما نوع الجهاز العصبي الإنساني ؟ كيف تنشأ اللغة في الجهاز العصبي ؟ أئمة عناصر وراثية تجعل الكائن البشري ذا قدرة على اكتساب اللغة ؟ قد يجوز لنا أن نصف الإنسان بأنه « حيوان لغوي »^(٣) ، وإنا لنلاحظ أن الطفل يميل إلى أن يكون لغوياً فهل للوراثة دخل في هذا ؟ هل يولد للطفل وقد وهب قدرة على تعلم لغة معينة : العربية أو الإنجليزية أو الألمانية مثلاً ؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فكيف نعلل أن أطفال المهاجرين إلى جماعة لغوية مختلفة ، هؤلاء الأطفال الذين يولدون في البيئة الجديدة ويعيشون فيها حياتهم - وقد انقطعت الأسباب بينهم وبين لغة آبائهم - يتعلمون لغة هذه الجماعة ، ويتعلمونها بنفس السرعة التي يتعلمها بها أهلها الأصليون ، ويتكلمونها كما يتكلمها أصحابها ؟ أم أن القدرة اللغوية وراثية ، إن كانت ، فهي « عامة » ؟ ومن الملاحظ

(١) المرجع السابق انظر ص ١٥ ، ص ١٧ ، ص ١٩ ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) Nervous System . . .

(٣) Linguistic Animal . . .

أن المتكلم بأى لغة لا يستعمل أعضاء نطقه فحسب ، بل كثيراً ما يلجأ إلى التعبير اليدوى^١ ، وإلى التعبير بعلامج وجهه ، فهل لهذا دخل بماضى الإنسان ، وبالتراث الإنسانى ؟

هذه المسائل وغيرها ، المتعلقة بالصلة بين طبيعة الكائن البشرى وصفاته الوراثية وبين سلوكه اللغوى ، مسائل أثارها بعض المحدثين من علماء اللغة ، وهم يدعون إلى بحثها ، واكتنهامها ببحث البحث الواجب ، ويستظفر أن تؤدى البحوث المقبلة فيها إلى أن يزداد فهمنا لطبيعة اللغة ووظيفتها . ومن البين أن البحوث فى هذه الأمور تستدعى الاهتمام بحقائق مستمدة من علم الأعصاب^٢ ، وعلم الوراثة^٣ ، وعلم الحياة العام^٤ (الأحياء : الفيزيولوجيا) أكثر من الاهتمام بنتائج علم النفس .

هذه الطريقة تهتم بـ : « الشخص »^٥ و « الشخصية »^٦ اهتماما كبيرا . وإن الدراسات الفسيولوجية ، والنشيفية ، والعصبية ، والطبية لتبين أهمية الجهاز العصبى كله « والعدد المفرزة للهرمونات »^٧ فى تكامل الشخصية ؛ وإن سميزات الشخصية لتجد التعبير عن نفسها من خلال النظام اللغوى . ثم إن دراسة « العيوب الكلامية »^٨ و « الاضطرابات اللغوية »^٩ ذات أهمية كبرى

(١) Hand Expression

(٢) Neurology

(٣) Genetics

(٤) General Biology

(٥) Person

(٦) Personality

(٧) Endocrine Organs

(٨) Speech Defects

(٩) Language Disorders

بالنسبة إلى هذا الموضوع . ولا شك أن الدراسات الكاينيكية^١ للأفازيا^٢، وهي مرض من أمراض الكلام ، قد أفادت اللغويين بما ألقته على اللغة من ضوء . ولكن في دراسة هذه الحالات المرضية يجب أن تظل الشخصية عاملاهما ذا صلة وثيقة بالموضوع . إن الاهتمام بالشخص والشخصية يفيد في جوانب كثيرة من المدرس اللغوي ، وفي دراسة الأسلوب^٣ أو « علم الأسلوب » بوجه خاص ، ولكن نعمة حقائق وخصائص لغوية « غير شخصية »^٤ وعلى الباحث اللغوي أن يجرد الخصائص الشخصية من الخصائص غير الشخصية^٥ .

(٣) وهذه الطريقة التي تهتم بالشخص والشخصية هذا الاهتمام لا تنتظر إلى الشخص على أنه « مستقل » إنما تدخل في حسابها أنه عضو في جماعة كلامية معينة ، فهي — كما تدخل في اعتبارها مقومات الشخصية وطبيعتها التي لها علاقة باللغة بتعلمها وباستعمالها وتطورها الخ — تقيم نظرتها على أساس من العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبأسلوب اللغوي للشخص على أساس من العلاقات الاجتماعية التي يرتبط بها الشخص ، ومن القيسود الاجتماعية التي تفرض عليه والتي تلزمه بساوك لغوي معين في حالات معينة .

(١) Clinical Studies

(٢) Aphasia

(٣) Stylistics

(٤) Impersonal

(٥) هذه النقرة عن :

J. R. Firth : Personality and Language in Society, pp. 50—51.

(٦) المرجع السابق ص ٤٢-٤٩

ولا شك أن هذه العوامل والظواهر والعلاقات والقيود تختلف من مجتمع إلى مجتمع ، وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور . إن الأساس الاجتماعي في دراسة « اللغة » ، وفي دراسة السلوك اللغوي للشخص أساس على جانب كبير من الأهمية : فاللغة الإنسانية في نشأتها - سواء أكانت أحادية المنشأ أم ثنائية أم متعددة ، وأيا كانت الطريقة التي نشأت بها - من صنع المجتمع^١ ، وفي المجتمع يكون استعمال اللغة ، وتعلمها ، وتطورها ، كما أن تأثيرها كائن فيه .

ولذلك فإن أي نص كلامي - ملفوظا كان أو مكتوبا - لا يوصل إلى معناه الحق الكامل بدراسته وحده مستقلا ، بدراسته من الناحية الصوتية ، ومن الناحية النحوية ، ومن الناحية المعجمية ، بل يجب أن يدخل في تقدير معناه عناصر أخرى غير العنصر الكلامي ، عناصر أخرى تكون هي والعنصر الكلامي كلا متكاملًا ، فمن الواجب الاهتمام بالمسائل الآتية :

(١) انظر الكلام عن « أصول اللغة » في كتاب « لغة » لغوي الفرنسي الكبير « ج. فندريس » Vendryes . في تعريف الأستاذين عبد الحليم الدواخلى ومحمد الفصاح (نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، طبع مطبعة لجنة البيان العربي : القاهرة ١٩٥٠) ص ٢٩-٤٢ وانظر الفصل الخاص بنشأة اللغة في كتاب « دلالة الألفاظ » للدكتور إبراهيم أنيس ص ٩-٣٣ (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٨) .

وكتاب الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي « نشأة اللغة عند الإنسان والطفل » (دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٤٧) .

وانظر ما كتبناه حول هذا الموضوع في « علم اللغة : منحة لبقارىء العربى » ص ٥٥-٥٧ .

والجزء الخاص بالموضوع في :

1) Otto Jespersen : Language. . . pp. 412-442.

2) E. H. Sturtevant : Introduction To Linguistic Science

١ - ما المشتركين في الموقف الكلامي من خصائص متصلة به ، خصائص متعلقة بأشخاصهم وشخصياتهم ، وباللاقات القائمة بينهم . وهؤلاء المشتركون هم المتكلم والسامع - أو السامعان أو السامعون - (أو هم في حالة النص المكتوب الكاتب ومن يقرأ) وغير من يتكلم ويسمع (أو غير الكاتب ومن يقرأ) من الحاضرين .

ويندرج تحت هذا النصوص الكلامية للمشاركين ، والأحداث غير الكلامية التي تصدر عنهم أو التي يتخذونها كإشارات وتعبيرات الوجه والانعكاسات وما إلى ذلك .

٢ - الموضوعات (= الأشياء) المتصلة بالموقف الكلامي ، كالمكان الذي يجري فيه الكلام ، أو حالة الجو إن كانت متعلقة بالموقف الكلامي الخ .

٣ - أثر النص الكلامي في المشتركين ، كالإقناع ، أو الضحك ، أو الألم الخ .

(١) هذه العناصر الثلاثة ١ - ، ٢ - ، ٣ - هي عناصر التصور الذي يدعو الأستاذ فيث Context of Situation « سياق الحال » انظر المرجع السابق ص ٤٢ - ٤٥ ؛ وانظر تفسير الأستاذ فيث لهذا التصور في ملاحظات أخرى له هي :

- 1) Speech (Benn, 1930) pp. 38 - 43.
- 2) Linguistics and the Functional Point of View (English Studies XVI. 1, February, 1934
- 3) The Use and Distribution of Certain English Sounds (English Studies XVII, 1, February, 1935).
- 4) The Technique of Semantics (Transactions of the Philological Society. 35, pp. 1964, 72).
- 5) Tongues of Men (Watts & Co., London, 1937) Chapter X.

وانظر عرض الدكتور تمام حسان لهذه الفكرة في كتابه « مناهج البحث في اللغة » ص ٢٦١ - ٢٦٦ .

وارجع إلى ما كتبناه عن (المنهجة الاجتماعية الإنجليزية - ج. ر. فيث) في كتابنا « علم اللغة ... » ص ٢٣٧ ٢٤١

ب - هذا عن الدراسة الوصفية للغة « حية » ، أما دراسة لغة « ميتة » .
 في مرحلة من مراحلها ، فهي وإن كانت في جوهرها دراسة وصفية إلا أنها تختلف في أمور عن الدراسة الوصفية في الحالة الأولى ، إذ أنه في الحالة الثانية لا يقتضى اللغوى الوقوف على صكثير من الظروف التى كان يستعمل فيها الكلام ، ولذلك فهو في حاجة إلى الاستعانة بالمعلومات التاريخية عن المجتمع صاحب اللغة في الفترة التى يدرسها ليتأتى له إعادة بناء شىء قريب من الظروف التى كان يستعمل فيها الكلام الذى يدرسه . ومن الثابت أن النتائج التى يصل إليها اللغوى في هذا المجال بتقصها ، فى أكثر الأحيان أو فى بعضها ، الدقة والإفصاح .

وما من شك فى أن الدراسة الوصفية لمرحلة قديمة من مراحل لغة لا تزال تجرى على الألسنة ، تختلف كذلك عن الدراسة الوصفية للمرحلة الراهنة لهذه اللغة أو لسواها ، فى الحالة الأخيرة يعاج اللغوى - كما بينا - أن يدرك الحقائق « غير اللغوية » التى يحتاج إليها فى دراسة المعنى ، وهذه الحقائق يكون الوصول إليها فى الحالة الأولى عن طريق التصور استعانة بالمعلومات التاريخية كما هو الشأن فى دراسة مرحلة من مراحل لغة « ميتة » (انظر تعريف اللغات « الميتة » تحت رقم ١ - من الفصل الحادى عشر) .

ج - ثم إن دراسة تغير المعنى^١ من مرحلة إلى أخرى فى اللغة الواحدة تتبع منهجاً تاريخياً له اعتباراته وشروطه الخاصة ، ومن أول هذه الشروط دراسة كل مرحلة من المراحل على حدها دراسة وصفية قبل الانتقال إلى الدراسة التاريخية أو التطورية .

(١) عرفنا بمناهج دراسة المعنى فى الباب الرابع من كتابنا « علم اللغة . . . » وتحدثنا

عن « تغير المعنى » فى الفصل الخامس من هذا الباب ص ٣٠٥ - ٣١٦

والدراسة اللغوية محوجة ، في بعض جوانبها .. كالمقارنة بين لغتين أو أكثر من بعض الوجوه - إلى اصطناع منهج آخر هو المنهج المقارن^٢ ، ولهذا المنهج ، شأن أي منهج ، شروطه واعتباراته ووسائله .

(١) دراسة اللغة في فترة معينة من تاريخها توصف بالفرنسية بأنها : —

= Synchronique أو Statique أو Descriptive

= ويقابل هذا بالانجليزية :

Synchronic (Synchronistic) أو Static أو Descriptive

وترجمة هذا بالعربية : سكونية (= ساكنة ، استقرارية = مستقرة = حال الاستقرار) ، أو ثابتة (= حال الثبات) أو وصفية .

أما دراسة اللغة من حيث تغيرها من فترة إلى أخرى فتوصف بالفرنسية بأنها :

Diachronique أو Evolutive (Dynamique) أو Historique

ويقابل هذا بالانجليزية : Diachronic (Diachronistic) أو Dynamic أو Historical

وترجمة هذا بالعربية : (حركية = متحركة) ، أو تطورية أو تاريخية .

وكان فردينا ند دي سومير ، العالم السويسري ، أول من ميز تمييزاً بين هاتين النظرتين

كما كان له فضل إدخال المصطلحين : Synchronique و Diachronique :

« ولقد أبرزت محاضرات فردينا ند دي سومير ولد سنة ١٨٥٧ ومات سنة ١٩١٣ (

التي نشرها تلاميذه سنة ١٩١٦ أهمية الفصل القاطع بين هاتين النظرتين : بين اللغة من

حيث هي نظام ثابت ، وبين اللغة من حيث هي تغير لغوي - وأصر دي سومير على ضرورة

الفصل القاطع بين دراسة اللغة حال ثباتها ، وبين دراستها حال حركتها . كما بين أن كل

دراسة من هاتين يجب أن يكون لها مناهجها الخاصة بها . » عن :

Alf Sommerfelt : Recent Trends in General Linguistics (Diogenes, Number 1, English Edition pp. 64, 70. A Quarterly Publication of the International Council For Philosophy and Humanistic Studies, Unesco)

(٢) Comparative Method

انظر تعريفنا بهذا المنهج في كتابنا : علم اللغة . . . ص ٢٨١-٢٦٦

بعد ذلك التعريف بوظيفة اللغة تعريفا مخالفا للتعريف « الكلاسيكي » لها، وبعد هذا البيان الموجز لطريقة دراسة هذه الوظيفة ، نشرع في تناول طائفة من المسائل الهامة التي تندرج تحت « اللغة والمجتمع » فنبين أنواعا من العلاقات المتبادلة بين اللغة والمجتمع ، مبرزين أنواعا مختلفة من الوظائف اللغوية . وليس المقصد من تناول هذه المسائل في هذا المجال أن تدرسها دراسة منفصلة كاملة فهذا محوج إلى فضل زمان ومكان ، ولا ينهض به حق نهوضه إلا طائفة متعاونة من العلماء ، إنما المقصد أن نعرض تخطيطا للموضوع يبرز ماهية كل مسألة من المسائل ، ويوضح طرائق دراستها ، وينبه إلى ما قد يكون في دراسة بعض المسائل من فجوات . وقد نفصل أحيانا قليلة في بيان بعض ما نذهب إليه على سبيل التمثيل وسنرى أن هذا العرض ، ببيانه للدور الذي تقوم به اللغة في حياة الفرد والجماعة والنوع الإنساني ، يدنينا من فهم حقيقة « اللغة » ، وأنه يشترع للدراسة اللغوية لا سيما في حالة العربية فصيحها وداميها ، مجالات جديدة واسعة تصطنع فيها مناهج ووسائل حديثة دقيقة . وسنرى كذلك أنه عند بحث الموضوع الواحد يحوج الأمر إلى أن نستخدم مع المنهج الوصفي المنهج التاريخي أو المنهج المقارن أو كلا المنهجين ، مع الاحتفاظ لكل بمجاله وشروطه ، أي دون الخلط بينها أو بينها .

السلوك اللغوي للطفل

١ - من جوانب دراسة السلوك اللغوي للشخص ، ومن أول ما يهديننا في سبيل فهم الوظيفة الاجتماعية للغة ، دراسة السلوك اللغوي للطفل : كيف يكتسب الطفل لغة الجماعة التي يولد فيها ويعيش ؟ هل يتعلمها دفعة واحدة أو أنه يتعلمها على مدى طويل ، وعلى مراحل متدرجة ؟ وما الظروف التي يتعلم فيها الطفل اللغة ؟ أهو يتعلمها وحده أم هو يتعلمها بعون ؟ وإذا كان يتعلمها بعون فما حقيقة هذا العون ؟ أئمة مدة واحدة يستغرقها الأطفال جميعا لتعلم اللغة أم أن هذه المدة تتفاوت من طفل إلى طفل ، أو من جماعة إلى جماعة أخرى ؟ وإذا كان تفاوت في هذا الشأن فما أسبابه ، وما ظروفه ، وما نتائجه ؟ ثم هذه اللغة التي يتعلمها الطفل ، ما دلالتها بالنسبة إليه ؟ وما دلالتها بالنسبة لمن حوله ؟ فيم يستعملها ، وما ظروف استعماله إياها ؟ إلى غير هذا من عشرات الأسئلة .

ومما يسأل عنه في هذا المجال أسئلة لا سبيل إلى الإجابة عنها إجابة مرضية أو شبه مرضية ، فمن المسلم به أن اللغة « مكتسبة » وليست مما يرثه الكائن الحي كعضو سمات الخلقة وصفات المزاج ، ولكن أئمة دخل للوراثة في قدرة الأطفال عامة على اكتساب اللغة ؟ وهل للوراثة شأن في اكتساب طفل لغته أسرع من اكتساب طفل غيره نفس اللغة ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ونظائره مرهونة بتقدم بحوث علم الوراثة فقد يحمل هذا العلم مستقبلا هذا الإشكال بالنفي أو بالإثبات حلا حاسماً ينفي كل تشكك ، ويكون دعامه في النظر إلى لغة الطفل .

(١) وأول ما نقررهُ فيما يتعلق بالسلوك اللغوي للطفل أنه لا توجد حتى الآن دراسة علمية كاملة موثوقة بها لـ « لغة » الطفل قائمة على أساس لغوي . وأكثر ما كتب عن لغة الطفل قائم على أسس نفسية ، ومن وجهة نظر علم النفس على اختلاف مذاهبه ، وهو غالباً ما يستهدف الاهتمام إلى خير الوسائل المعينة على تعليم اللغة للأطفال والكبار ، وعلى تعليم الطفل لغة أجنبية ، كما أنه يرمى إلى التوصل إلى بعض الحقائق التي تعنى علم النفس .^١

(١) فيما يلي بيان بمائة من أشهر الدراسات المتداولة عن لغة الطفل :

Buhler, Charlotte : (1) The First year of Life; New York, U. S. A., 1930
(Trans. from German)

(2) From Birth to Maturity; Kegan Paul, London, 1937

Descoedres, A. : Le Developpement de l'enfant, de deux à sept ans;
Delachaux & Niestlé, Neuchatel & Paris; 1946.

Gesell, A. & Others : The first five years of Life; Methuen & Co. Ltd.,
London, 1940

Gesell, A. : Studies in Child Development, New York, 1948.

Grégoire, A. : L'Apprentissage du Langage, les deux premières
années; Alcan Paris, 1937.

Grégoire, A. : L'Apprentissage du Langage; la 3 ème année et les
années suivantes; Alcan, Paris, 1947.

Guillaume, P. : L'imitation chez l'Enfant; Presses Universitaires de
France, Paris 1950

Lewis M.M. : Infant Speech; Kegan Paul London, 2nd ed. 1951.

McCarthy, D. : The Language Development of the Pre-School Child;
University of Minnesota Press, U. S. A. 1929.

Piaget, J. : Le Langage et la Pensée chez l'Enfant. Delachaux &
Niestlé; Neuchatel & Paris 1929.

(٢) وقد ظهر بالعربية حديثا كتاب عنوانه « اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة » ، للأستاذ صالح الشماخ^١ . وقد نشر ضمن سلسلة « منشورات جامعة علم النفس التكامل » التي يشرف على إصدارها الدكتور يوسف مراد ، وقد كتب الدكتور يوسف مراد - وكان الأستاذ المشرف على هذا البحث - مقدمة هذا الكتاب .

وقد ذكر المؤلف في تمهيدته والمقدم في مقدمته أن هذا البحث يطبق « المنهج التكامل » . قال صاحب الرسالة^٢ إنه لا يقدم بأية نظرية جديدة « وأنا منذ أقدمنا على اختيار هذه الرسالة كان رائدنا بضعة توجيهات وخطوط عامة سلمنا بها دون نقاش وأخذنا أنفسنا بتطبيقها وفي مثل هذا التطبيق يكون التقدير النهائي لعملنا وإن أهم هذه الخطوط والتوجيهات هي فكرة « التكامل » التي نشأنا عليها . . . » ثم ذكر^٣ أن تطبيق

-
- | | | |
|--------------------|--|---|
| Piaget J. : | La Fonction du Symbole chez l'Enfant. | = |
| Seth and Guthrie : | Speech in Childhood ; Oxford University Press 1935. | |
| Shirley, Mary : | The first two years, a study of twenty five Babies. The University of Minnesota Press, U. S. A., 1933. | |
| Stein, L. : | The infancy of Speech and the Speech of infancy; Methuen & Co, London, 1949. | |
| Stern, W. : | Psychology of Early Childhood up to the sixth year of age; G. Allen & Unwin Ltd., London 1924. | |

هذا عددًا من المقالات في المجلات العلمية لا سيما مجلات علم النفس .

(١) نشر دار المعارف ، مصر سنة ١٩٥٥ . وهذا الكتاب هو الرسالة التي قال بها الأستاذ صالح الشماخ درجة الماجستير من قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

(٢) تمهيد ص ١

(٣) تمهيد ص ٢

المنهج التكاملي يصير له ألا يتقيد بمدرسة دون أخرى في دراسة ظاهرة معقدة كاللغة ، فاستفاد من شتى المذاهب والاتجاهات ، ولكنه اهتم اهتماما خاصا بمناقشة آراء ثلاث من مدارس علم النفس وهي مدرسة التحليل النفسي والسلوكية ، والجشططية ولم ينس جهود علماء آخرين .

وقال الدكتور يوسف مراد في مقدمته (١) « ويكفي أن نلقي نظرة سريعة إلى اللغة لندرك على الفور أن دراستها لا يمكن أن تقوم إلا على المنهج التكاملي إذ لا بد من تضافر عدد كبير من العوامل النفسية والبيولوجية والنفسية والاجتماعية لكي تنشأ اللغة وتتطور حتى تصبح أداة ممتازة للتعبير والاتصال بالآخرين . » (لا حظ أن هذا الكلام يفهم منه أن صاحبه يرى أن وظيفة اللغة ، أو وظيفتها الرئيسية على الأقل ، هي أن تكون « أداة ممتازة للتعبير والاتصال بالآخرين » وقد سبق لنا أن ناقشنا هذا الرأي) . ثم قال (نفس الصفحة) :

« وقد أدرك مؤلف هذا البحث ، الأستاذ هادي صالح الشماخ ، ضرورة تطبيق المنهج التكاملي في دراسة نشأة اللغة وتطورها في الطفولة . فبعد أن تحدث عن مناهج دراسة اللغة تناول الأسس البيولوجية للكلام . واللغة عند الحيوان ، أي أنه نظر إلى اللغة من حيث هي مظهر من مظاهر السلوك العام وأن دراسة المعالم الأولى للغة الانفعالية تعين في فهم اللغة التصورية التي ترقى تدريجيا نحو مستوى التجريد والتعقيد . وفي هذه المرحلة التي تتحول عندها اللغة من مستويات الانفعال والبحث إلى مستويات التصوري نلجس ما بين العوامل النفسية والبيولوجية من تضافر وثيق . »

وبعد أن تحدث المؤلف طويلا عن المادة الأولية للغة من صراخ
وأصوات ومناغاة انتقل إلى وسائل اكتساب اللغة مبرزاً أثر العوامل
الاجتماعية في تطورها وارتقاءها .

والذي نراه نحن أن هذا البحث يقوم في جملته على أسس نفسية ، وهو
صادر عن ثقافة نفسية ، وينظر إلى لغة الطفل من وجهة نظر علم النفس في
الأغلب ، وإن اتبع ما يسمى المنهج التكامل ، وإن ذهب صاحبه إلى أنه
يؤكد على الجانب الاجتماعي توكيدا كبيرا^(١) ، والأستاذ الدكتور يوسف
مراد ينظر إلى هذا البحث على أنه « جدير بأن يحتل مكانة ممتازة بين
المراجع العربية الخاصة بالعلوم السيكولوجية » .

وإيس هذا البحث محاولة لوصف لغة طفل مصري مثلاً أو لتدوين
ملاحظات عن لغة مجموعة من الأطفال الذين يتكلمون لغة واحدة ولكنه
أشبه بالعرض لطائفة من أهم النتائج التي وصل إليها جمهور من درسوا لغة
الطفل على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم، ولطائفة من أبرز الآراء التي ذهبوا
إليها مع محاولة الاختيار منها . فقيمة الكتاب - وليس هذا بالأمر الهين -
أنه يقدم إلى قراء العربية تعريفاً - من وجهة نظر صاحبه - بما وصلت
إليه دراسة لغة لطفل عند جماعة من الغربيين . ولذلك فالكتاب يصلح أن
يكون دافعا ومدخلا إلى دراسة لغة الطفل ، ونرجو أن يتبع هذا العمل
أعمال أخرى بالعربية تحاول أن تدرس لغة الطفل ، أو جوانب من لغته ،
على أسس لغوية . وهذه الدراسات يحتاج القارئون بها إلى الزود بثقافة

(١) ص ١٦٧

(٢) ص - مقدمة

لغوية حديثة ، ولا يفي بالقيام بها التزود بنظريات علم النفس على اختلافها ،
انهم يحتاجون إلى دراسة علم اللغة العام لتكون فيه فكرة صحيحة عن ماهية
اللغة ، وعن طرائق دراستها ، وعن وسائل هذه الدراسة . رغم يحتاجون
على وجه الخصوص إلى إتقان علم الأصوات لغوية . نظر وعملهم من
الضروري أن تقوم دراسة لغة الطفل منذ أوائل فترات حياته حتى وصف
صوتى دقيق .

(٣) أما ما كتبه بعض علماء اللغة عن لغة الطفل على أساس لغوية فلا
يبلغ أن يكون دراسة كاملة ، إنما هو تخمينات غير نظرية تؤدي إلى
هذه الدراسة ، وتدوين لطوائف من الملاحظات ، وتلبية لهم في هذه
الملاحظات من فقرات : إن ما صنعوه هو محاولة لفهم المشكلة ، وبيان
أهميتها ، ودعوة عملية إلى بحثها أكثر من أن يكون حلا كاملا أو
أشبهه بالكامل .

ب - ونأخذ الآن في عرض مجمل لبعض الملاحظات الهامة التي توصل إليها
طائفة من اللغويين فيما يتعلق بلغة الطفل .

(١) يرى جماعة من علماء اللغة المحدثين - ومنهم الأستاذ فيرث - أن تتبع
النمو اللغوي للطفل يجب أن يكون مرتبطا . تجارب الحمية التي يمر بها
حياة الطفل ، وهذه التجارب الهامة ، في رأي الأستاذ فيرث . هي :

(١) عقدنا بابا للتعريف بهذا العلم ومناهجه ووسائله في كتابنا علم اللغة : مقدمة لتقارير
العربي ص ٨٩ - ٢٢٠

(٢) J.R. Firth عن محاضراته في علم اللغة العام بمعهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة
لندن ، وقد أستمعت إليها من ١٩٤٨ - ١٩٥١ م .

١ - المرحلة الأولى ، مرحلة المهد ^١ ، وهي منذ ولادة الطفل إلى ما قبل استطاعته الجلوس .

٢ - مرحلة الجلوس ^٢ ، وفي هذه المرحلة يكون بدء الكلام ^٣ ، واللعب بالدمى وما إليها .

٣ - مرحلة الحبو ^٤ ، وفي هذه المرحلة يتسع عالم الطفل شيئاً ما ، لأن الحبو ينقله إلى أبعد من مجلسه .

٤ - مرحلة السير بمساعدة ^٥ ، وفي هذه المرحلة ينتقل الطفل إلى عالم أرحب .

٥ - مرحلة سير الطفل وحده ^٦ في الأماكن القريبة من المنزل .

٦ - مرحلة السير خارج المنزل ^٧ ، وفي هذه المرحلة يستشعر الطفل حرية لا يجدها في المرحلة التالية .

٧ - مرحلة الذهاب إلى المدرسة ، وهذا في المجتمعات التي يكون بها « مدارس » ، أو مرحلة التربية الخاصة التي يتلقاها الطفل من بيئته لتأهيله لنوع من العمل في المجتمعات التي ليس بها « مدارس » . وهذه المراحل من أهم المراحل بالنسبة للغة .

Nursery	(١)
The Sitting Up	(٢)
Speech	(٣)
Crawling About	(٤)
Walking with Help	(٥)
Walking alone	(٦)
Walking Outside	(٧)

(٢) هذا ترتيب مقترح لسير « الدراسة » ، ولكن للترتيب الذي تسير عليه « الدراسة » شيء يختلف عن الترتيب الذي تقرر فيه نتائجها . ومن ثم فأننا ، في عرض الملاحظات الخاصة بلغة الطفل ، سنتبع للتقسيم الثلاثي الذي ارتضاه العالم الدانمركي الكبير « أونو يسيرسن »^١ وهو أن النمو اللغوي للطفل يستغرق ثلاث مراحل هي :

١ - مرحلة الصياح^٢

٢ - مرحلة البأبأة^٣

٣ - مرحلة « الكلام » أو : التكلم^٤ ، التي تنقسم إلى فترتين (أ) فترة « اللغة الصغيرة »^٥ ، أي اللغة الخاصة بالطفل ، وفي هذه الفترة يكون الطفل من الوجهة اللغوية « منفردا » ، (ب) فترة اللغة المشتركة^٦ ، أو لغة الجماعة ، وفي هذه الفترة يأخذ خضوع الطفل للمجتمع وتأثره به في الازياد شيئا فشيئا .

والآن نشرع في التعريف بالخصائص العامة للغة الطفل في كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث .

(١) Otto Jespersen: Language, Its Nature, Development and Origin P. 103

(٢) Screaming Time

(٣) Babbling time, Cooing time, Gowing time

(٤) Talking time

(٥) Little Language

(٦) Common Language

١ — مرحلة الصياح^(١) :

وهذه المرحلة تمتد من مولد الطفل إلى حوالي الأسبوع الثالث من عمره وقد تستمر إلى الأسبوع السابع أو الثامن .

إن الطفل يقابل العالم ساعة يولد بصراخ وصياح ، ولكن هذا الصراخ الصادر عن « جهازه الصوتي » ليس « كلاما » ، ليس من كلام جماعته ، ولا هو من كلام أي جماعة تتكلم بلغة أخرى غير لغة جماعته . وهذا الصراخ لا يدل وحده على أن الطفل لو قطع عن المجتمع كل القطع فسينطق يوما ما بكلام جماعته ، أو بكلام أي جماعة غيرها . ذلك لأن الطفل لا يلهم لغة جماعته ، إلهاما ، ولا هو يتذكر النطق بها ، أو بسواها ، ابتكارا ، ولكنه يمر ، وهو في مجتمع ما ، بمراحل طويلة وشاقة حتى يستطيع أن يتفاهم مع من حوله بلغتهم ، يمر بمراحل أولها هذه المرحلة ، مرحلة الصياح . إن الصيحات التي تصدر عن الأطفال في هذه المرحلة صيحات « عامة » تكاد تكون واحدة عند جميع الأطفال . وعلى الرغم من أن الصياح ليس « كلاما » ، وليس الأصل فيه أن الطفل يريد أن « ينقل » شيئا ما إلى غيره ، إلا أنه بالنسبة لمن حول الطفل من الكبار ، يحدث شيئا مما يحدثه الكلام . فهم « يقرأون » فيه شيئا ما ، ويهرعون إلى الطفل عند سماعهم صياحه لإزالة ما به من ضيق . وإنه ليأتي وقت يلاحظ فيه الطفل أنه عندما يصيح فإن شخصا ما يهرع إليه ويرضيه بشيء ما ، ولو كان هذا الإرضاء بمصاحبه إياه ليس غير .

وعندما يدرك الطفل هذا فإنه يستعمل الصياح استعمالا إراديا عندما

(١) انظر سيرمن : المرجع السابق 104—103 pp.

(٢) Speech

يقع في ضيق، أو عندما يريد شيئاً ما، وهكذا تغدو الصبيحة « عملاً إرادياً »^١ بعد أن كانت في أول أمرها « عملاً انعكاسياً »^٢ .

ولكن للصياح فائدة أخرى غير هذه ، هي فائدة فسيولوجية فهو تدريب لجميع العضلات والأعضاء التي سيستعملها الطفل ، فيما بعد في البأبأة ، والكلام والغناء . وتقول بعض المربيات ، وقد يكون في كلامهن معنى ما ، إن الطفل الذي يكون أعلى صياحاً يصبح عندما يكبر خيراً من سواه غناء .

٢ - د حة البأبأة - :

لا تبدأ هذه المرحلة قبل الأسبوع الثالث من حياة الطفل : وقد لا تبدأ قبل أسبوعه السابع أو الثامن ، وهي تمتد إلى حوالي نهاية السنة الأولى من عمر الطفل .

تصدر عن الطفل في هذه المرحلة أصوات ، ومجموعات من الأصوات مثل ، ا ، ام ، بتب ، تت ، د د الخ^٣ . ولا شك أن هذه الأصوات ألطف مما كان يصدر عنه في مرحلة الصياح ، وأشد ملائمة لأغراض الكلام . والأصوات ، أو مجموعات الأصوات ، التي تصدر عن الطفل في هذه المرحلة ، لا معنى لها .

١ — والأصوات التي تصدر عن الطفل في أوائل هذه المرحلة لا ينطقها قاصداً أو مقلداً للأصوات التي يسمعها من حوله ، إنها نشاط عضلي خالص

(١) Voluntary Action

(٢) Reflex Action

(٣) انظر بيرسن: المرجع السابق 104-105 pp.

(٤) aa , am , baba , tata ; dodo . etc.

وبسيط كتحريره أصابعه ، أو يديه ، أو ذراعيه ، أو رجليه . والطفل يجد من اللذة في إصدار هذه الأصوات ما يجده من لذة في تحريك تلك الأعضاء الأخرى . والدليل على ذلك أن الأطفال « الصم البكم »^(١) تصدر عنهم أشياء هذه الأصوات وهم بطبيعة الحال لا يسمعونها ، ولا يسمعون كلام من حولهم ليقلدوه . ولكن إذا كانت حركات أعضاء النطق عند الطفل لا تحكم فيها . ولا سيطرة عليها أول الأمر فإنها تأخذ شيئاً فشيئاً في أن تصبح أشد انتظاماً ، فيعرف الطفل الصوت الذي يريد أن ينطقه ، ويكون في وضع يمكنه من أن ينطقه بالضبط .

٢ . وإذا كان الطفل في أوائل هذه المرحلة ينطق أصواته غير قاصد ، وغير مقلد لأنه لا يسمع ، فإنه يصل إلى وقت تقوى فيه حاسة سمعه ، ويجد متعة أي متعة في سماع الأصوات التي يخرجها هو نفسه . ثم تحدث خطوة بالغة الأهمية عندما يأخذ الطفل في سماع مشابهة بين الأصوات التي تنطقها أمه أو مربيته وبين تلك التي ينطقها هو نفسه . إن الأم عندما تسمع طفلها يخرج صوتاً أو مقطعاً^٢ فإنها تقبل عليه مسرورة مكررة ما أخرجه من صوت أو مقطع . وعندما يدرك الطفل للشبه أو المماثلة بين ما ينطقه هو نفسه وبين ما تردده أمه فإنه يقع على منبع من المتعة لا يغيض . وهو يصل بعد ذلك إلى المرحلة التالية ، عندما يحاول هو نفسه أن يقلد ما يقال له (وهذا يكون عادة حوالى نهاية السنة الأولى) .

إن الطفل في حوالى نهاية فترة البأبأة يكون قد تمكن من نطق عدد

(١) Deaf-Mutes

(٢) Syllable

التجوز ، فانها ليست في الحقيقة هي نفسها : فما نمثله من أصوات الطفل : «ل» و «ر» الخ ليس مطابقا لما نمثله من أصواتنا بهذه الرموز . ويتفق دارسو لغة الطفل على أن «الصوامت الشفوية»^(١) التي يرمز إليها : P, b, m (ب، ب، م) من الصوامت الأولى التي ينطقها الطفل ، إن لم تكن أولها على الإطلاق .

ولقد فسر هذا بأن للطفل يستطيع أن يرى تحرك شفتي أمه وهي تنطق هذه الأصوات ، وهكذا يقلد حركاتها . ولكن «يسپرسن» يرى أن هذا التفسير يتضمن أن الطفل يقوم بدرجة كبيرة من التفكير الواعي ، هذا الطفل الذي ينطق «م» أو «م» قبل أن يأخذ في تقليد أي شيء يقوله له من حوله . ثم إنه قد قيل إن انتباه الطفل لا يكاد يتجه إلى فم أمه بل هو مركز دائما على عينيها . إن الأرجح في رأي «يسپرسن» أن السبب الحقيقي في هذا هو أن العضلات الشفوية المستخدمة في نطق ب أو م هي نفس العضلات التي درجها للطفل في الرضاعة من ثدي أمه أو من زجاجة . وإنه لمن المهم في هذا الشأن أن نعرف الصوامت الأولى التي ينطقها الاطفال العميان أي «الصوامت الشفوية» أم غيرها .

٤ . ومما يلاحظ أن الطفل في مرحلة البداية قد تصدر عنه أصوات ليست من جملة الأصوات التي تتكون منها لغة الجماعة التي سيستعملها يوما ما . فالطفل المصري مثلا قد تصدر عنه في هذه المرحلة أصوات لا يسمعا ممن حوله ، وذلك كالأصوات التي يرمز إليها كتابة : P, V ، وقد تصدر عنه أمثال

(١) Labial Consonants

(٢) يسپرسن : المرجع السابق P.105

هذه الأصوات في أوائل مرحلة البأبأة حين لا يكون ثمة قصد إلى إحداث أصوات معينة ، أو إلى تقليد أصوات معينة . إن الذي يحدث أن الطفل يحرك أعضاء نطقه تحريكاً متحرراً فيحدث أنها أحياناً تتخذ الأوضاع الخاصة بنطق هذه الأصوات فإذا بها تصدر عنه . وقد يحدث أن طفلاً ممن كانت تصدر عنهم في مرحلة البأبأة ، أو بعدها ، أصوات ليست من جملة الأصوات الرئيسية للغة الجماعة التي سيتكلم بها يوماً ما ، يجد صعوبة في تكوين هذه الأصوات نفسها فيما بعد عندما يكون قد تعلم لغة جماعته وأخذ في تعلم لغة أجنبية تستعمل هذه الأصوات . ومرجع ذلك إلى أن الطفل في مرحلة البأبأة ، وفي أوائل مرحلة الكلام ، ينطق عدداً من الأصوات أكبر مما تستعمله اللغة التي عليه أن يتعلمها ، ولكن تعلمه الطويل لهذه اللغة بما فيه من كثرة سماع أذنه لأصوات محدودة ، ومن تقليده لهذه الأصوات ، ومن تصحيح الكبار للأصوات التي ينطق بها حتى تتفق مع أصوات لغتهم أو تقرب منها . . . الخ ينتج عنه أن تمرن أذنه على سماع أصوات خاصة ، وتمرن أعضاء نطقه على إحداث أصوات معينة ، فإذا أراد أن ينطق أصواتاً أجنبية عن تلك التي بذل مجهوداً شاقاً لتعلمها فإن أعضاء نطقه لا تكون له طبيعة سليمة .

٣ - مرحلة الكلام : ١

تبدأ هذه المرحلة من حوالي نهاية السنة الأولى من عمر الطفل وتمتد سنوات طويلة . ولما كانت هذه المرحلة طويلة وتشتمل على فترات متغيرة متمايزة ، فقد رأى الأستاذ « إسبرسن » أن يقسمها إلى فترتين : ١ - فترة

اللغة الصغيرة و ٢ . فترة اللغة المشتركة . والحق أن هذا التقسيم هو أبسط ما يمكن أن يكون لتقرير نتائج الملاحظة والدراسة ، ولكن الواقع أن الطفل في تعلمه الكلام يمر في كل فترة من هاتين بطورين كثيرين متغايرة قد يعتبر بعضها فترات مستقلة متمايزة .

١ . فترة اللغة الصغيرة :

والمقصود باللغة الصغيرة اللغة التي يُعَدِّدُهَا الطفل لنفسه بتقليده تقليداً غير مُحَكَّمٍ كلامٍ من حوله من الكبار . والطفل في هذه الفترة « متفرد » شيئاً ما من الناحية اللغوية . فالكلام الذي ينطق به يعدّ بعداً بيناً من « الأصل » الذي يحاول أن يقلده . وكثير مما ينطقه في هذه الفترة لا يكون مفهوماً إلا في نطاق بيئته الضيقة : أمه ، وأبيه ، وإخوته ، ومن إليهم ممن يعيشون معه . ويبدو أن الأم ، أو من يقوم مقامها ، هي خير من يفهم كلامه ، أما غير من حوله من صغار وكبار فقد يفوتهم كثير من معاني ما ينطقه . إن كلام الطفل في هذه المرحلة يبدو تعسفياً حتى إنه تتمكن مقارنته برسوم الطفل الأولى للرجال والحيوان (فقد يقول أحد الأطفال المصريين « مـ » بدلاً من « مَيْتة » ، و « آية » بدلاً من « كُتَيَّاتِه » ، و « لكـ » بدلاً من « إكرام » ، و « بـ » بدلاً من « عيش » . . . الخ) .

٢ . فترة اللغة المشتركة :

يأخذ الطفل شيئاً فشيئاً في التخلص من خواص لغته الصغيرة الفردية

إلى أن يصبح كلامه أشد انتظاما ، وأقرب إلى كلام الكبار ، وأوضح عند من يحيطون به وعند الغرباء جميعا . ويستغرق الأمر زمنا طويلا حتى يصير كلام الطفل « مثل » كلام الكبار ، أى حتى يتقن الطفل الكلام باللغة التى تتكلم بها جماعته .

١ فى أوائل هذه المرحلة يكون كلام الطفل أشد انتظاما ، وإن كان الطفل « يُحرّف » كثيرا من الكلمات العادية . ولكن العالم اللغوى يستطيع فى حالات كثيرة أن يكشف عن أسباب تحريفه للكلمات . ولتطفل فى هذه الفترة « قوائمه » الصوتية الخاصة . وقد يحوج الأمر إلى عالم فى الأصوات اللغوية لفهم القرائن الصوتية للتردية لطفل من الأطفال .

٢ ويلاحظ أن الطفل فى أوقات من هذه المرحلة (فى أوائلها خاصة) يجد صعوبة فى نطق بعض الأصوات عندما تكون جزءا من مجموعة ، أو مجموعات من الأصوات ، بينما هو قادر على نطقها مفردة ، أو على نطقها عندما تقع فى مجموعة أو مجموعات صوتية أخرى . كما أنه يستطيع عادة أن يندق سلسلة طويلة متتالية من المقاطع ، وهو يفضل « الكلمات المكونة من مقطع واحد » ،

٣ وكثيرا ما ينطق الأطفال جزءا واحدا من الكلمة ، وهو غالب ما يكون المقطع الأخير أو المقطعين الأخيرين أو المقاطع الأخيرة منها ، وهذا يسمى بـ « الاختصار » أو « القطع » .

٤ ومن المشاهد أن لغة الأطفال يكثر فيها « التضعيفات » ، وليس

Monosyllables (١)

Mutilation (٢)

Reduplications (٣)

المقصود بهذا تلك « التضعيفات » الموجودة بطبيعتها في لغة الكبار ، بل تلك التي تكون من صنع الطفل نفسه ، فكثيرا ما يكون الأطفال كلمات من تلك التي يسمعونها ممن حولهم بأن يكرروا مقطعا واحدا من مقاطعها ، ومن هذا أن بعض الأطفال الإنجليز يقولون « بيب » بدلا من « پنسل » ، و « كك » بدلا من « كرى »^١ ، كما أن بعض الأطفال يكررون كلمات كاملة ، وذلك مثل « كنج كنج » و « رنج رنج »^٢ بين الأطفال الإنجليز . وربما كان المرجع في كثرة « التضعيفات » في لغة الأطفال هو اللذة التي يستشعرها الطفل في تكرار نفس الفعل العضوي حتى يصيبه الكلال^٣ .

• وما يلاحظ أن الطفل يكون قادرا على ادراك نغم الكلام الذي يسمعه قبل أن يفهم كلمة واحدة مما يقال له أو على مسمع منه بزمان طويل : فهو في هذه المرحلة يستطيع أن يميز الكلام الذي يوجه إليه بحب وعطف ، من ذلك الذي يوجه إليه بحدة وغضب ، فتبسط أساريره ويهش لسماع الكلام الأول ، ويعبس ويهجنح إلى البكاء عند سماعه الكلام الثاني ، وقد لوحظ أن كثيرا من الأطفال يستطيعون في سن باكرة أن يدركوا « النغمة »^٤ الصحيحة التي يقال عليها شيء ما ، أو يُفَعَّلُ عليها شيء ما^٥ .

(١) 'Pape' instead of 'Pencil' , 'Kaka' instead of 'Carri.'

(٢) King-King , Ring-Ring (= bell).

(٣) انظر المرجع السابق p. 108

(٤) Tone

(٥) المرجع السابق pp. 111-112

٦ وهذا الحديث عن إدراك الطفل لنغم الكلام ينقلنا إلى الحديث عن مسألة أخرى : إن الطفل لا يسمع اصوات اللغة مفردة، ولكنه يسمع كلمات وجدلا سواء كانت هذه الكلمات والجل موجهة إليه أم لم تكن ، بأن كان للكبير يتحدثون فيما بينهم على مسمع منه . وهو لا يتعلم الجانب الصوتي، أى العنصر الخارجى ، للكلمات ويحمل مستقلا عن معانيها المرتبطة بها، أى عن عنصرها الداخلى ذلك لأن الجانب الصوتى لأى كلمة ومعناها مرتبطان ارتباطا لا انفصال به بالنسبة للطفل ، كما هو الشأن بالنسبة للكبار كذلك .

٧ وإن الطفل يأخذ فى سن مبكرة فى إدراك أن للكلمات مدلولات : إن فهم الطفل لمعاني الكلمات دائما ما يسبق قدرته على أن ينطق هو نفسه نفس الكلمات التى يفهم معناها . وغالبا ما يسبق هذا الفهم تلك القدرة بزمان طويل ٢ ، فالطفل قبل أن يتمكن من نطق الكلمات يطلب منه مثلا أن يجلس فيجلس ، أو أن يقف فيقف ، أو أن يحضر شيئا فيحضره ، أو أن يترك شيئا فى يده فيتركه وهكذا .

وإن السكيفية التى يكتسب بها الطفل معانى الكلمات على جانب عظيم من التعقيد والصعوبة، فمن ذلك أن بعض الكلمات المختلفة معنى متفقة صوة وهذا من شأنه أن يوقعه فى الحيرة . وإذا كان الطفل يستطيع أن يدرك الكلمات التى تدل على محسوسات يشار إليها وقد يستعملها ، مثل : لبن - كرسي - تفاحة الخ . فكيف يدرك معانى الكلمات التى تدل على أمور معنوية ؟ إن فهمه لهذه الأخيرة يتأخر . وغالبا ما يكون غامضا غير دقيق .

(١) المرجع السابق 113 p.

(٢) المرجع السابق 113-114 pp.

ثم إن من الكلمات ما يستعمل استعمالاً مجازياً ، وإن الطفل ليتعثر في إدراك هذه المعاني . ومما يصعب على الطفل إدراك معاني بعض الكلمات أن الكلمة قد يكون لها أكثر من معنى باختلاف بعض السياقات اللفظية التي تقع فيها ، أو باختلاف الظروف الخارجية المحيطة أو باختلاف النغمة التي تقال عليها ، أو لغير هذا . ولكن مما يعين الطفل على اكتساب المعاني أنه طُلِّعَ إذ بأتى عليه وقت من الأوقات يكثر فيه من السؤال عما لا يعرفه . وعن أسماءه فيظل يردد « ما هذا ؟ » أو « ما اسم هذا ؟ » .

كما أن الطفل يجد صعوبة كبيرة في إدراك فكرة « التزمين » التي تدل عليها بعض الكلمات ، فيخلط بين « الصيف » و « الشتاء » ، و « الصباح » و « المساء » ، و « الشروق » و « الغروب » وبين « أمس » و « اليوم » و « غدا » ، ويخطئ في استعمال « الأزمان الفعلية »^٢ .

٨ يتعلم الطفل آخر الأمر لغة جماعته . ومما يعينه على ذلك قدرته الفاتحة على التقليد ، وشدة تطلعه وما يجده من عناية من حوله من الكبار لاسيما للأم . فالأم ، أو من يقوم مقامها ، تظل « تناغيه » وتكرر على مسامعه دون أن تعلم ، الكلمات والجمل والأمبارات والأغاني والأناشيد حتى عندما تعرف أنه لا يفهم عنها ، ولكنهما يجسدان في ذلك من المتعة ما يدعوها إلى الاستغراق فيه ، وهكذا يسمع الطفل الكلمات والجمل مرات ومرات بطريقة محببة . والطفل يجد من تشجيع من حوله على محاولاته الكلامية

(١) انظر شيئاً من التفاصيل الخاصة بتحصيل الطفل لمعاني الحواس ، وللمعاني الاتصالات المجازية فيما كتبناه بعنوان « تحصيل المعاني » في كتابنا « علم النفس »

من ٢٩٧ - ٣٠١ .

(٢) Tenses

ما ييسر له الطريق . كما أن الطفل يتفصح العامة المجال لتصحيح أخطائه اللغوية في نطق الأصوات ، أو في صيغ الكلمات ، أو في تركيب الجمل ، وفي مدلولات الكلمات فالأم والأب والإخوة والأخوات والأقارب والرفاق الكبار والخدم ، إن كان ثمة خدم ، لا يزالون يصححون له أخطائه ، وإن كانوا أحيانا يعملون على استبقاء بعض أخطائه استملاحا واستطرافا ، أو لغير ذلك من الأسباب ، وقد يصحح الطفل بعض أخطائه نتيجة لإدراكه الخاص .

٩ وللطفل قياسه اللغوي من النواحي النحوية والنحوية والمعنوية فهو يقدر ما لم يسمع أو يدرك على ما سمع أو أدرك ، وهذا القياس يعين الطفل من جانب على تعلم اللغة ، كما أنه من جانب آخر يوقعه في بعض الخطأ . إن الطفل في مراحله الأولى لا يتبها له جماع جميع مفردات اللغة ، وكل صيغها وتركيباتها ، أو قد لا يذكّر جميع ما يسمع ، أو قد لا يحضره جميع ما يعرف وقتما يريد ، كما أنه لا يتييسر له إدراك معاني جميع المفردات . فمن قياس الطفل النحوي أنه قد يسمع مثلا مذكر كلمة ولا يسمع مؤنثها ، أو قد يعرف مفرد كلمة ولا يعرف مشتاقا أو جمعها . ولكنه يلحظ - إن كانت اللغة التي يتعلمها هي العامية المصرية - أن الكلمات المؤنثة التي يعرفها تختتم بتاء تضاف إلى المذكر ، فإذا أراد نطق مؤنث « أخضر » قال « أخضرة » ، ومؤنث أحر قال « أجرة » بدلا من « خضرة » و « حمرة » وهكذا . وهو من كثرة سماعه لأسماء دالة على الجمع تنتهي بـ « ين » يعمم هذه الطريقة عندما يريد جمع كلمات لا تجمع في المصرية بهذه الطريقة ، فيجمع « ولد » على « ولدين » مثلا وهكذا . وكثير من الأطفال المصريين يعممون طريقة النفي المستعملة في حال الأسماء على بعض

الأفعال التي لا تنفى بهذه الكيفية فيقولون « مش جه » بدلا من « ما جاش » وهكذا .

١. إن لكل طفل لغته المميزة له، بل إن لكل فرد لغته طفلا كان أو صيا أو شابا أو كهلا أو شيخا، ذكرا كان أو أنثى في كل حال من هذه الأحوال . وأخطاء كل طفل تختلف عن أخطاء غيره من الأطفال الذين ينتمون إلى جماعته الكلامية ، وإن كان ثمة أخطاء عامة يشتركون فيها جميعا . والأطفال يتفاوتون فيما بينهم في سرعة تلقينهم للغة ، وفي سرعة تصحيحهم لأخطائهم اللغوية ، كما يتفاوتون في عدد المفردات التي يعرفها أو يستعملها كل منهم ، وهم كذلك يتفاوتون في دقة الإبانة عما يريدون ، وفي مسائل أخرى غير هذا كله ١ .

(١) انظر ما كتبه الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي عن « لغة الطفل ومراحلها ومبلغ تمثيلها لنشأة اللغة الإنسانية وتطورها » ص ٩٠ - ١١٢ الطبعة الثانية ١٩٤٤ من كتابه « علم اللغة » ، وما كتبه عن لغة الطفل في كتابه « نشأة اللغة عند الإنسان والطفل وانظر ما كتبناه بعنوان « تحصيل المعنى » في كتابنا « علم اللغة .. » ص ٢٩٧-٣٠١ .

اللغة مميز فردى ومميز طبقي

١ - اللغة مميز فردى

(١) إن اللغة علامة مميزة للفرد . وأول ما يبدو من تمييزها هذا هو اختلاف الأصوات الطبيعية للأفراد ، هذا الاختلاف الذي يرجع إلى أسباب عديدة . نعم إن الصوت الطبيعي للإنسان أو ما يعرف في المصرية بـ « الحس » ، يميز جماعة الأطفال عن جماعة الراشدين ، ويميز كلا من هاتين الجماعتين من طائفة الشيوخ ، كما أنه يميز ذكور كل جماعة من هذه من إناثها ، ولكن الأمر لا يقتصر على هذا النوع من التمييز بل إنه يمتد حتى يميز كل فرد من سواه . وإن « الصوت الطبيعي » بهذا الاعتبار وظيفة ، فنحن نميز الشخص بصوته ، نعرف أن فلانا هو فلان بسماعنا لصوته دون رؤية شخصه . فالصوت الطبيعي أو « الحس » بهذا الاعتبار يكاد يكون حسو الجسم ، فكما يمايز الأفراد طولاً وعرضاً ، وسماً ونحافة ، وبياضاً وسمره . الخ . فهم يمايزون صوتاً (حساً) . ولما لم يكن للفرد دخل في هذه الخاصة إذ أنه ليس كاسمها . ولكفه ولد عليها (وقد يتخذ صوت فرد من الأفراد صفة غير تلك التي ولد عليها نتيجة مرض أو حادث . الخ .) فكل منا على هذا الأساس يولد متفرداً . وإن الأصوات الطبيعية للأفراد من العوامل التي تكيف المواقف التي تتخذها إزاءهم ، فقد يكون في صوت من الأصوات ما يدعو إلى السخرية والزراية ، وفي آخر ما يدعو إلى الإعجاب والإقبال ، وفي ثالث ما يدعو إلى النفور والابتعاد ، وفي غير هؤلاء ما يوجب التسوقير والاحترام ، وهكذا . ومن وظائف الصوت الطبيعي أن سماعه - ولو لم يكن صاحبه يتوجه إلينا بالكلام ، بل

دون رؤيتنا لصاحبه - يدفعنا إلى نوع أو أنواع من السارك : فالظنمـل
يسمع صوتا من خارج البيت يعرف فيه صوت أبيه فيتهلل ويستطار ويصبح
ويهرع إلى اقمياه ، أو قد يصييه شيء من خوف ، ويتكلف الجد إن كان
أبوه شديد الوطأة عليه . وقد يسمع مرءوس صوتا قادما من خارج فيدرك
فيه صوت رئيسه فيتصنع الانصراف إلى العمل مثلا . وقد يطرُق سمعنا
صوت جميل لشخص حبيب فتأهب خفيا للقاء مصلحين من شأن مظهرنا
مثلا . وقد يسمع الجندي صوتا يتكلم كلاما لا يفهمه فيرى فيه عدوه
فيسرع إلى سلاحه مستعدا للفتك به ، وينذر زملاءه بمقدم العدو . كل هذا
وليس ثمة « مخاطب » ، أو « اتصال » ، أو قصد إلى الاتصال .

(٢) وما يميز لغة فرد من فرد ما يكون لكل متكلم من « لوازم »
لغوية . و « اللازمة » اللغوية قد تكون كيفية من نطق كلمة أو كلمات :
وقد تكون عبارة بكثر من ترادها ؛ وقد تكون كلمة أو جملة ينطق بها
في ظروف معينة ؛ وقد تكون لفظة أو ألفاظا لا يستعملها نظـمـراؤه
ويستعملها هو تعالما أو تباهيا أو نواضا أو مريدا غير ذلك ؛ وقد تكون
عيبا عضويا في النطق كاللثغة أو الفأفة أو التمتمة ؛ وقد تكون جمعا بين
شيئين أو أكثر من هذا ؛ وقد تكون أمرا آخر يكفى سماعه أو ذكره
لتحديد شخص القائل أو المتحدث عنه

إن « اللازمة » اللغوية علامة دالة على الفرد قد يغنى ذكرها عن ذكر
اسم صاحبها ، وهي أشبه بالسمة العضوية البارزة البادية كجحوظ العين ،
أو ضخامة الأنف أو الغرابة في شكل اليد أو الإصبع . . الخ . ومن
« اللوازم » اللغوية ما يشير الضحك على صاحبها ، ومنها ما يبعث على الضيق
به ، ومنها ما ينشر جوا من الأنس إليه وهكذا ، فللازمة اللغوية أثر في تكييف
العلاقة بيننا وبين صاحبها .

(٣) ذكرنا أن الفرد لا يأخذ لغة جماعته إلهاماً ، أو وحياً ، أو شكراً ولكنه يأخذها عن طريق التعلم الطويل الشاق في سنوات طفولته الأولى ، وهو لا يزال يضيف إلى لغته ، ويعدل فيها إلى أن يموت . فمن خطأ أن نتصور أن لغة الفرد تثبت على حال واحدة بعد انتهاء مرحلة طفولته حتى يصل عندها إلى القدرة على التفاهم مع الكبار باللغة العامة المشتركة .

وبما بين أن لغة الفرد في تغير دائم أن الفرد لا يحيط بجميع مفردات اللغة العامة في سن معينة ، بل إنه لا يزال يسمع ألفاظاً جديدة يستعملها ما يصرفه . فهو في كل دور جديد من أدوار حياته ، وفي كل تجربة من التجارب الهامة التي يخضع لها يسمع ما لم يكن قد سمع . والسبب في حاجة إلى أن نذكر أنه في كل حال من هذه الأحوال لا يسمع مفردات جديدة حسب ولكنه يسمع كذلك تعبيرات جديدة ، وطرائق من الكلام حديثة . ينحصر في المدرسة يتصل بزملاء له يختلفون عنه طبقة وسناً وتجربة فيسمع من أولاد من هم أغني من ذويه كلمات وعبارات لا يعرفها ، ويسمع من أولاد من هم أغني من أهله كلمات وعبارات لم يكن له بها علم ، بل إنه يسمع من أولاد نظراء أهله — ولو كانوا مثله سناً — كلمات وعبارات لم يسبق له أن سمعها من أيه أو أمه ، أو من إخوته للكبار وسائر من اتصل بهم من قبل . هذا بطبيعة الحال بالإضافة إلى ما يسمعه من جديد الألفاظ المتعقبة بالدراسة ونظامها ، وبالسلوك الذي يفرض عليه وما إلى ذلك . وعندما يتصل فرد بفرد من الجنس الآخر تتكشف له كلمات وعبارات جديدة ، وطرائق من الحديث لم يكن له بها عهد . ومعروف أن المزوجين من الرجال والنساء لا يزال كل منهم يسمع من قرينه مفردات وعبارات لم تكن من جهة

ما يعرفه . وهكذا فلغة الفرد الواحد في زمن من الأزمان تختلف عن لغته فيها سبق هذا الزمان وفيما لحقه أو يلحقه .

ب - وكما أن اللغة علامة فردية مميزة فهي كذلك علامة « طبقية » مميزة في الجماعة الكلامية الواحدة تختلف لغة المتعلمين عن لغة الأميين ؛ والمتعلمون يختلفون لغة فيما بينهم باختلاف درجة تعلمهم ، وباختلاف مهنتهم ، وباختلاف درجة ثرائهم وبسوى ذلك من الأسباب . ولغة الصيادين تختلف عن لغة التجارين وعن لغة الحدادين . . الخ . وكل من هذه تختلف عن لغة طلبة المدارس مثلا أو عن لغة الموظفين الحكوميين الخ . ولغة المسيحيين في جماعة كلامية ما تختلف عن لغة من يدينون بالإسلام أو اليهودية مثلا من أفراد نفس الجماعة الكلامية . هذا بالإضافة إلى مباينة لغة كل فرد من أفراد كل طائفة من هذه الطوائف للغة أي فرد آخر من أفراد الطائفة نفسها . إن سماع فرد من الأفراد وهو يتكلم لفظاً بضم بمستواه العقلي ، والمادي ، وبصنفته الطائفية والمهنية . . الخ . وهكذا فاللغة قيد من القيود ، أو هي أشبه ، مع شيء من الفارق ، ببصمات الأصابع ، أو بالزى .

(١) وإن تغير الفرد للغة المفصحة عن وضع طبقى معين حتى تصبح مثيلة للغة طبقة أعلى أو أدنى ، أو للغة طائفة أخرى من طوائف نفس الجماعة الكلامية لأمر جد عسير ، وهو يحتاج إلى طول مران ، وتعلم شاق ؛ وحتى بعد هذا فقد تنيد عن الفرد ألقاظ أو تعبيرات تدل على أنه دخل على هذه الطبقة الجديدة لا أصيل فيها . وهذا يذكرنا بما صنعه « برنارد

شو « في مسرحيته « بيجماليون »^١ : فالاستاذ « هيجنز »^٢ عالم الصوتيات اللغوية يلتقط بائعة الورد « اليزا دوليتل »^٣ . وهي فتاة فقيرة من أسرة متواضعة تتكلم اللغة اللندنية العامية ، ويتمهدها بالتعليم الصوتي واللغوي الشاق ، وبالتعويد على آداب السلوك الراقية ، حتى يصير حديثها كحديث سيدات الطبقة الأرستقراطية بلندن . ويقول « برنارد شو » في مقدمة تأليفه هذا إنه يقرر ، تشجيعاً لأولئك الأشخاص الذين يتحدثون لهجات تقطعهم عن كل مركز رفيع ، إن ذلك التحول الذي أحدثه « هيجنز » في بائعة الورد لا هو بالمستحيل ، ولا هو بالأمر غير المألوف : فكثير من ذوي الطموح من الرجال والنساء قد استطاعوا أن يكتسبوا « لهجة » جديدة راقية غير « لهجاتهم » الأصلية . وهو يقول إن كثيراً من العاملات والعمال بالمخلات الراقية بحى « وست إند » بلندن يتكلمون لغتين : لغتهم الأصلية التى تم عن وضع اقتصادى واجتماعى فقير حقير ، وتلك اللغة التى اكتسبوها من مخاطبتهم الطبقة الأرستقراطية ومن تشبههم بهم في حديثهم والتى يستعملونها في مخاطبة أفراد هذه الطبقة وفي أدائهم عملهم على وجه العموم . ولكنه يرى أن هذا التحول يجب أن يتم بطريقة علمية وإلا كانت الحالة التى ينتهى إليها اللطامح إلى اكتساب « لهجة » جديدة أسوأ من حالته أول الأمر . وهو يحذر بائعات الورد اللاتى يقرأن مسرحيته هذه أن يتخيان أن فى استطاعتهم أن يصرن سيدات راقيات بالتقليد الذى لا يمكن معه ، بل

(١) Bernard Shaw : Pygmalion; Penguin ed., 1949

(٢) Higgins

(٣) Eliza Doolittle

عليهن أن يتعلمن « الأيجدية » من جديد ، وبطريقة مخالفة ، من عالم صوتي قدير^١ .

(٢) وهذا ينقلنا إلى لغة حديثى الثراء . فهؤلاء قوم ترفعهم الأموال التى انتهت عليهم فجاءة إلى مستوى مادى أهلى . وهم يستطيعون أن يقلدوا الطبقة الراقية فى مجتمعهم بالتشبه بهم فى ظاهر المسكن والمأكل والملبس ، وباتخاذ ما يتخذون من أدوات الزينة ومن وسائل التنقل .. الخ ، وقد يبالغون فى ذلك مبالغة تفضح حقيقتهم . ولكن إذا كان اتخاذهم هذه المظاهر المادية ممكنا سيرا ، فانهم لا يستطيعون أن يتحدثوا حديثهم ، أو هم لا يستطيعون أن يتحدثوا حديثهم بنفس السرعة التى يتخذون بها مسكنهم ومأكلهم وملبسهم و .. الخ . ومعروف أن محاولتهم للتشبه بلهجة الطبقة الراقية الأصيلة كثيرا ما تجعل منهم مادة للهزء والسخرية .

إن وجود طرائق مختلفة من الحديث تميز طائفة من طائفة فى الجماعة التى تتكلم لغة مشتركة حقيقة معروفة ، وهى قائمة فى كل مجتمع ، ونحن نصنف الناس على أساس منها . والتفسيرات التى تطرأ على أية لغة مشتركة حسب المستويات الاجتماعية يسمى كل منها لهجة طائفية أو (لهجة طبقية) ، ٢ .

(٣) ومن ألوان اللهجات الطائفية الموجودة فى كل مجتمع تلك التى تسمى « اللهجة السرية » أو « الكلام السرى »^٣ والمقصود بها تلك اللغة التى تسعملها طائفة تخشى ساطة المجتمع ، وتهرب من عقابه ، وتحاول أن تخفى عنه أمرها ؛ وذلك كلغة للصومس والنشالين ، ولغة رجال العصابات ،

(١) Pygmalion, pp. 9-10

(٢) Class Dialect

(٣) Secret Language, Underworld Speech.

ولغة الحشاشين ومن إليهم ممن يتعاطون مخدرات يحرمها مجتمعاتهم ، ولغة « اللقوادين » . . الخ . فاللاحظ أن كلا من هذه الطوائف وأشباهاها تصطنع مفردات وتعبيرات لا يعرف معناها من ليس منها أو من لم يتصل بهم ويكشف عنها . والذي تلجأ إليه هذه اللغة في الأغلب أنها تعطي بعض الكلمات المستعملة في اللغة المشتركة دلالات جديدة ، وتعتمد على الاستعمالات المجازية ؛ وقد تستعمل كلمات مأخوذة من لغات أجنبية بحرفة أو غير بحرفة ، وقد تخترع بعض الكلمات والتعبيرات اختراعا . وهذه التغييرات التي تلحق اللغة تغييرات عامة . وقد لوحظ أن في اللهجات السرية « المختلفة في الجماعات التي تتكلم بلغات مختلفة قسما مشتركا من المفردات والتعبيرات ، لاسيما في البلاد الأوروبية والأمريكية . ومن أمثلة اللهجات السرية أن بعض الحشاشين في الإسكندرية يستعملون كلمة « سكر » بدلا من « حشيش » . وبعض الصوف في أمريكا يدلون على الجواهر ^١ بكلمة « جليد » ^٢ ويدلون على الجواهر المسروقة بعبارة « الجليد الساخن » ^٣ .

(١) Jewels

(٢) Ice

(٣) Hot Ice

انظر في هذا :

اللغة وأصحابها

١ — العلاقة بين «البنية اللغوية» ١ و«البنية الاجتماعية» ٢

من المسائل الهامة التي يخوض فيها علم اللغة العام مسألة بنية اللغة ومدى تمثيلها للبنية الاجتماعية . معروف أن لكل لغة بنيتها الخاصة بها فهل هذه البنية تمثل تمثيلاً صادقاً للبنية الاجتماعية للجماعة التي تتكلمها ، أو هل تمثل هذه البنية بدرجة معينة ؟ وإذا كانت تمثلها فكيف يكون هذا التمثيل ؟ ومعروف أن أية لغة من اللغات لا تنظر ثابتة بل هي في تطور مستمر ، كما أن البنية الاجتماعية دائمة التطور ، وكل نوع من هذين النوعين من التطور شروطه الخاصة به ؛ فهل كل تطور في البنية الاجتماعية يقابله تطورٌ ما في البنية اللغوية ؟ أو بعبارة أخرى : ما القوانين التي تحكم العلاقات الضرورية بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية ؟

(١) كان انطون ميه^٣ من أوائل من وجهوا اللغويين إلى الكشف عن هذه القوانين فلقد رسم في سنة ١٩٠٦ المنهج الآتي :

«إنه من الواجب أن نحدد مع أي بنية اجتماعية تتفق بنية لغوية معينة، كما أنه من الواجب أن نحدد كيف تتمثل تغيرات البنية الاجتماعية، بطريقة عامة ، في تغيرات في البنية اللغوية .»

(١) Linguistic Structure

(٢) Social Structure

(٣) Antoine Meillet

Il faudra déterminer à quelle structure sociale répond une structure linguistique donnée et comment, d'une manière générale, les changements de structure sociale se traduisent par des changements de structure linguistique.

ولقد أتى «ميه» نفسه بمثال يوضح في رأيه العلاقة بين هذين النوعين من البنية فقال : إن اللغة الهندو أوروبية كان تصريفها^١ يصطنع « مورفيمات »^٢ كثيرة جدا يمثل كل منها مجموعة من الخصائص ، وكانت تعطى الكلمة استقلالاً ذاتياً كبيراً في العبارة ؛ وذلك لأنها كانت لغة عقلية متفردة ، وهذه الصفة ذات علاقة بالبنية الاجتماعية للأمة الهندو أوروبية التي كانت جملة جماعات صغيرة كل منها على درجة كبيرة من التحرر عن سائرها^٣.

(٢) أما ف. بروندال^٤ فقد أقام علاقة بين وجود « الحروف »^٥ وبين تقدم المدنية ، فقرر أن « كل شيء يبين أن الحروف في آسيا القديمة ، وفي إفريقيا الشمالية ، وفي أوروبا كذلك ، هي أداة منطقية^٦ لم تكتسب إلا

(١) Flexion

(٢) Morphèmes

« المورفيم » بترجمه الأستاذ عبد الحميد الدواخلي والدكتور محمد القصاص به « دال النسبة » (الجمع : دوال النسبة) وذلك في ترجمتها لكتاب « اللغة » تأليف ج. فندريس ، و ترجمه الدكتور محمد مندور ؛ « عامل الصيغة » (الجمع : عوامل الصيغة) .

انظر الخلاف في ترجمة هذا المصطلح في كتابنا « علم اللغة » ص ٢٢ - ٢٤ ، وانظر تعريفه وأقسامه في نفس الكتاب ص ٢٣٤ - ٢٤٥ ، ص ٢٥٠ .

(٣) Jean Perrot : La Linguistique, (Que sais-je Paris) p. 126

(٤) V. Brondal

(٥) Prépositions

(٦) Instrument Logique

في مرحلة من مراحل المدنية حديثة نسبيا .^١

(٣) وكثيرا ما نسب اللغويون وجود الأقسام الاسمية^٢ إلى عقلية « بدائية » ولكن الأبحاث الحديثة التي قام بها ل . هومبورجر^٣ تدعو إلى إعادة النظر في هذه المسألة التي يبدو أنه قد أسىء فهم طبيعتها الحقيقية ولو في حالة لغات «البانتو»^٤ على الأقل .

(٤) وفي رأي كثير من اللغويين أن من الميول العامة المرتبطة بتقدم المدنيات الميل إلى التخلص من « الثني » - وهو عند « حسي » - من اللغات التي كان موجودا فيها حتى لا يقوم إلا التقابل بين المفرد والجمع ، وهو تقابل ذو طبيعة أشد تجردا ، كما أن من هذه الميول الميل إلى تغليب زمن الفعل على هيئته للوقاء بحاجات المجتمعات في تطورها^٥ .

(٥) إن هذه الأمثلة وسواها مما قدمه اللغويون إثباتا لوجود علاقة بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية ، قد تكون قاصرة ، أو متعسفة ، أو لم تؤد إليها مقدمات علمية بليغة ، ذلك لأن البحث في العلاقة بين هاتين البنيتين لا يزال في أوائله ، وهو بطبيعته يحوج إلى فضل استقصاء ، وزيادة احتراز ، وإن النتائج المرضية التي توصل إليها اللغويون في هذا

(١) المرجع السابق

(٢) Classes Nominales

(٣) L. Homburger

(٤) Les Langues Bantoues

(٥) Concret

(٦) Jean Perrot : La Linguistique pp. 126-127

للشأن قليلة قلة بـ لغة . وأيا ما كان فلنا أن نقول مع جان بيرو^١ :

« من الثابت أن بنية أية لغة من اللغات ذات علاقة بعقلية المتكلمين بها، وينظمهم وبحضارتهم المادية وإن جانب العناصر الموزونة في كل حالة من حالات اللغة نجد ~~كثير~~ . فالتغير الكامل في مجتمع يصطنع لغة ما لا يستلزم بالضرورة تغيراً في بنية هذه اللغة: فالمجتمع الروسي قد قلب أينا قلب في القرن العشرين ، ولكن اللغة الروسية احتفظت ببنيتها القديمة . ولقد أدت مناقشة قامت في الاتحاد السوفيتي في سنة ١٩٥٠ واشترك فيها « ج . ستالين » إلى هذه النتيجة : إن اللغة لا يمكن اعتبارها في مجموعها « بنية عليا^٢ » يحددها في مجموعها ، البنية السفلى^٣ » الاقتصادية والاجتماعية . »

ب - اللغة والجنس ،

هل ثمة روابط ضرورية بين اللغة والجنس ؟ أي هل تمايز اللغات بتمايز الأجناس ، وهل التغيرات التي تطرأ على جنس من الأجناس لا بد أن يكون لها أثرها في لغته ؟ هل نستطيع أن نستخلص من درسا للغة ما أنها لغة جماعة مستطيلي الرؤوس ، ومن درسا لغيرها أنها لغة جماعة مستديري الرؤوس ؟ هل نستطيع الحكم بأن هذه اللغة لغة راقية طيبة قادرة على التعبير عن لطائف الفكر ودقائق الحس لأن أصحابها ناعمو

(١) Jean Perrot : La Linguistique p. 127

(٢) Superstructure

(٣) Infrastructure

(٤) انظر لتدريس : اللغة (تعريب الدواخلي والقصاص) ٢٩٥ - ٢٩٨ أو

Margaret Schlauch ; The Gift of Tongues, pp. 283, 285

الشعر ، وبأن تلك متخلقة جامدة لا طاقة لها — إلى التعبير عن المعنويات والمجردات لأن أصحابها يجدوا الشعر ؟ هل ثمة رابطة ضرورية بين الجنس وبين القدرة على إجادة لغة بعينها ؟ أتوجد علاقة بين المميزات الجنسية وبين قدرة الناس على التفكير بصورة خاصة ، وعلى التعبير عن تفكيرهم بطريقة معينة ؟

(١) لقد أغرى بعض اللغويين بايجاد روابط بين اللغة والجنس ، واستغلت بعض المذاهب السياسية التعصب للجنس والزهو بلغته واتخذتها ذريعة لفرض سلطانها على شعوب تنتمي في رأيها إلى أجناس أدنى من أجناس أصحاب هذه المذاهب ، ويتكلمون لغات أدنى من لغاتهم. فالعالم فرديريك مولر مثلاً قد أنشأ كتابه "Grundriss der Sprachwissenschaft" على أساس من هذه الأفكار ، فصنف اللغات طبقاً للمميزات الإنشائية. فاستعرض لغات الشعوب المقيمة الشعر واحدة فواحدة ثم لغات الشعوب الناعمة الشعر.

(٢) ولقد نتج عن الدراسات اللغوية المقارنة ونظرية « العائلات اللغوية » أن رأى كثير من الغربيين لغويين ومفكرين وساسة ، أن اللغات الهندو أوروبية أسمى من سواها كالسامية والحامية ، وأن ما سمويه « الجنس الهندو أروبي » أو « الجنس الآري » أسمى الأجناس. والحق ، كما تقول مارجريت شلاوش أن ما لحق كلمة « آري »^٢ (أرية) من اضطراب

(١) Friedrich Muller: Wien, 1876-1888

(٢) Aryan

ومن إساءة استعمال ليدبر المرء إلى التردد في استعمال الكلمة وير
في المعنى السائق لها وهو اللغات المنحدرة من « الإيرانية القديمة »
والهندية القديمة ١ .

(٣) وكثيراً ما كانت وسيلة تبرير البرامج السياسية التي تهدف إلى إحد
الأقليات وقهرها ، اعتبار الجماعة الحاكمة أسمى جنساً من الجماعة المغلوبة عر
أمرها . وقد ذهب الألمان والاطليان النازيون والفاشيون دفاعاً عن نظم
السياسي إلى أن اللغات الهندوأوروبية على وجه العموم ، والآرية
والإيطالية على وجه الخصوص ، خير الأدوات الممكنة للفكر الإنسوي .
وإلى أن سائر اللغات جميعاً يجب أن تخضع أمامها ، وأن تقسح لها الطريق .
ومن ثم فقد رأوا أن من الحق ، بل من المرغوب فيه ، أن تشر
الحروب على أولئك الذين اتفق أنهم يتكلمون لغات سامية أو حامية
أو غيرها .

(٤) والحق أنه لإعلاقة ضرورية بين المميزات الجنسية كلون الشعر
ونجمده أو تموجه أو نعومته ، ولون العينين وهيئتهما ، ولون البشرة ،
وشكل الرأس والجمجمة ، وطول الجسم وهيئة العظام ، وما إلى ذلك ، وبين
قدرة الناس على التفكير ، أو على تعلم لغة من اللغات ، أو بين اللغة على وجه
الإطلاق وحتى إذا غرضنا النظر عن دلالة اختلاط الأجناس بعضها ببعض
فانه كما قال الأسقوي الأمريكي « هو يتنى » : « لا ينبغي الخلط بين المميزات
الجنسية المختلفة حتى لا يمكن تحصيلها إلا بالدم وبين النظم من لغة ودين

وثقافة، هذه التي تعد أحياناً قابلة للنقل، تعار وتبادل. ^١ إن الأنثروبولوجيين عندما يعثرون على جماجم آدمية ترجع إلى عشرات الآلاف من السنين لا يستطيعون إلا القول بأن أصحاب تلك الجماجم كانوا «مستطيلي الرأس» ^٢، أو بأنهم كانوا «مستديري الرأس» ^٣، وهم لا يستطيعون القول بأنهم كانوا يتكلمون دون شك لغة إعرابية متطرفة في إعرابها كما تقول «مارجريت شلاوش».

(٥) ومن الأدلة القريبة الحاكمة بفساد هذا الربط بين اللغة والجنس أن من اللغات ما يستفيض حتى يكون لغات جماعات تنتمي إلى أجناس مختلفة، وهذه الجماعات - على اختلافها في الجنس تجيدها ولا تأنس مشقة في تعلمها، وذلك شأن الإنجليزية والعربية مثلاً. فمن الفتوح والهجرات ما نشر لغات اللغائمين والمهاجرين بين شعوب لا تربطهم بالمتكلمين الأصليين روابط بيولوجية. والزنجي الإفريقي الذي يربي منذ طفولته الباكرة في إنجلترا في ظروف واحدة مع الأطفال الإنجليز يتكلم الإنجليزية كما يتكلمها أبناؤها، وإذا ربي طفل إنجليزي في قبيلة زنجية إفريقية كما يربي أبناؤها تكلم لغتهم تكلمهم إياها، وما درى صوتاً أو كلمة من الإنجليزية ما لم يتح له تعلمها كما يتعلمها أي أجنبي.

(١) تديرس : «اللغة» تريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ص ٢٩٨ عن هويتس
D. Whitney: La vie du Langage; P. 231 (trad. de l'anglais), 3^e édit., Paris 1880

(٢) Dolichocephalic (.... long - headed)

(٣) Brachycephalic (.... round - headed)

ج - اللغات المتخلفة ١ :

(١) الحديث عن اللغة والجنس من الحديث عن « اللغات المتخلفة » بسبيل . فمن التقويين من يصف بعض اللغات بالقصور في هذا الجانب أو ذاك ، ولهذا السبب أو لسواه ، عن الوفاء بحاجات المدنية الحديثة ، وعن المشاركة في أحداث العصر واتجاهاته وروحه ، وعن استيعاب العلم والفلسفة والفن . ومنه من لا يقنع بهذا بل يتطرف فيرى أن أمثال هذه اللغات لن يقدر لها ، بضيعة بنيتها ، أن تسمو إلى رتبة اللغات « الراقية » فتصلح لما تصلح له . نعم إن من انسلم به أن بعض اللغات في أيامنا هذه بعيدة عن التيارات الكبرى للأحداث ، وأقل قدرة من سواها على مجاراة مدنية العصر القائمة على الصناعة والآلات : فقد تستعمل هذه اللغات مفردات لا توائم حاجات العصر وروحه ، أو قد لا يكون فيها أسماء عامة بسيطة مثل « شجرة » أو « منزل » أو « خشب » ، هذه الأسماء العامة التي لا يتأتى بدونها تصور الشجرة العامة المنجدة وما إليها ، وقد يكون « تنظم » ، هذه اللغات قسراً التدقيق بحيث لا يُحتاج إلى هذا التدقيق ، وقد تستعمل تركيبات معقدة ومكررة ومعوقة للتعبير عن علاقة بسيطة ، ومن المسلم به كذلك أن « التنظم » قد يؤدي إلى صورة خاصة في التفكير وقد يؤثر في طرق الاستدلال ، قال فندريس : « إن اللغة تستطيع في بعض الأحيان

(١) انظر Margaret Schlauch : The Gift of Tongues, pp.285-287

(٢) Syntax

انظر تعريف « التنظم » ومنهج دراسات في كتابنا « علم اللغة » من ٢٤٥ - ٢٥١ ، وانظر الصفحات ٨٣ ، ١٢٣ ، ٢٢٥

أن تعدل من العقلية وتنظمها ، فعادة وضع الفعل في مكان بعينه دائما ، يمكن أن تؤدي إلى صورة خاصة في التفكير وأن يكون لها أثر في طرق الاستدلال . والتفكير الفرنسي أو الألماني أو الإنجليزي خاضع للغة إلى حد ما . فإن اللغة إذا كانت مرنة خفيفة مقتبسة على الحد الأدنى من القواعد النحوية ، سمحت للفكرة بالظهور في وضوح تام وأتاحت لها حرية الحركة . وعلى العكس من ذلك تختنق الفكرة من التضييق الذي يصيبها من لغة جامدة ثقيلة . ولكن عقلية المتكلمين تنصرف لاعتاد أي شكل من أشكال اللغة .^(١)

(٢) ولكن القول بوجود لغات مختلفة شيء ، والقول بأن هذه اللغات لن يتاح لها أن تعبر عما قد تعبر عنه اللغات الراقية شيء آخر . فهذه اللغات على هذه الصفة لأنها مرتت بظروف تاريخية خاصة ، ولكنها في الوقت نفسه ليست « ثابتة » فهي كأي لغة « متحركة » متطورة ، إنها متغيرة والتغير الذي يصيبها دائم الحدوث وإن اختلفت سرعة وطبيعة وعمقا وفق ما يصيب الجماعة التي تتكلمها من التغيرات الحضارية . إن ما يتقص هذه اللغات من مفردات من أيسر ما يمكن إضافته ، وتنظيمها المعقد قد يبسط ، وبنية جملها قد تتغير مع مرور الأيام ، وما في هذه اللغات من تميزات كثيرة لا طائل من ورائها قد تطرح عند ما تنقطع الحاجة إليها ، والعجز عن التعبير عن المجردات يمكن التغلب عليه . إن اللغات « المختلفة » قادرة ، عندما تواتيها الظروف المناسبة ، على التكيف السريع ، مصطنعة ما في

مواردها نفسها من إمكانيات، لتفي بحاجات المدنية الحديثة، وانتهض إلى تجريدات الفلسفة الأوروبية المعاصرة . ويحكي «فراز بواس^١» أن الطلبة الهنود الأمريكيين أمكن تعريفهم بالمثل العليا الأفلاطونية ولو أن لغتهم خالية من الأسماء العامة التي تستعمل دون «مغير^٢»، فقد كان من اليسير تعليمهم أن يهزلوا كلمة «بيت» من تعبيرت تعني «ذلك البيت هناك»، أو «بيتى القائم هنا» أو «البيت المصنوع من الخشب»، وما من شك في أن هذا شاق عليهم إذا ألقوا أن يكون لكل اسم «مغير»، وليسكنهم عندما عوّدوا على أن يحسوا بالحاجة العقلية إلى الاسم «بيت» المجرد من «المغير» فقد قبلوا الاستعمال، وساعدوا بهذا على دفع لغتهم إلى الأمام^٣.

د — اللغة القومية

(١) إن الوظيفة التي تؤديها اللغة فيما يتعلق بالقومية وغنية على جانب كبير من الأهمية. فكل أمة تعتز بلغتها، وتريد لها الحياة، وتبدو أهمية هذه الوظيفة في ألوان من الصراع الذي ينشب بين الأمم فبعض الأمم المستعمرة تفرض على الأمم المحتلة أن تكون لغاتها - أي لغات الغاصبين - هي لغة التعليم في المدارس وهي اللغة الرسمية في الخطابات الحكومية وفي المحاكم وفي سائر الأمور الرسمية . ومن أبرز الأمثلة على هذا ما حدث بعد الاستعمار الأوروبي الحديث من فرض الإيطالية في ليبيا، والفرنسية في تونس، والإنجليزية إلى حد ما في مصر . ولكن

(١) Franz Boas

(٢) Modifier

(٣) الفقرة (٢) عن

يلاحظ أن هذه الأمم تحتفظ بلغتها القومية في البيوت ، ومن أفرادها من يعمل على تعليم صغارها اللغة القومية الفصحى سرا كما كان الحال في ليبيا أثناء الاستعمار الإيطالي. ومن الأمثلة الرائجة على هذا احتفاظ البوانيين بلغتهم البولندية لغة قومية بينما كانت بلادهم مقسمة على ثلاث امبراطوريات في القرن الثامن عشر . وعندما تنور الأمم المحتلة التي فرض عليها المستعمرون لغاتهم مطالبة بالاستقلال السياسي يكون من أهم ما تطالب به استعمال لغاتها في الأمور الرسمية وفي التعليم . إن العلاقة بين اللغة وبين اعتزاز الجماعة بقوميتها وتشيت هذه القومية وإحيائها علاقة خطيرة الشأن ، حتى أنه لمن الممكن بحث لغة طال موتها ، فإسرائيل في العصر الحاضر قد رأت أن من عوامل تجميع اليهود مختلفي الألسنة بحث اللغة العبرية .

(٢) ومن مظاهر اعتزاز الأمم بلغاتها القومية أن بعضها قد تنطرف وطنيته أحيانا فيصخذ مواقف عدائية نحو ما في لغتها من كلمات دخيلة ، وقد تشتد هذه المواقف العدائية إذا نشب صراع بينها وبين أصحاب الكلام الدخيل سواء اتخذ هذا الصراع شكل الحرب ، أو التنافس الاقتصادي أو غير ذلك . وهذه المواقف العدائية تجاه الدخيل قد لا تقتصر على كرهه ، أو محاولة للتقليل من استعماله ، بل لقد تمتد إلى التطهير الواعي للغة القومية منه . ومن أبرز الأمثلة على هذا ما حدث في اللغة الألمانية في القرن العشرين . فعند ما أثبتت الإمبراطورية الألمانية دورها في الشؤون الدولية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حدث تطهير منظم لكلمات فرنسية دخيلة كان الزمان قد طال على قبول الألمانية لها . فحلت كلمة Spielhaus الألمانية محل كلمة Theater و Fernsprecher محل كلمة

Telephon و Fahrkarte محل Billet وكلمة About محل Toilette إلى غير ذلك من الكلمات ١ .

وربما كان الاعتزاز بالعربية التي «وسيت كتاب الله» هو الذي دفع كثيرا من المصريين أفرادا وهيئات في أوائل القرن العشرين خاصة ، إلى النفور من الدخيل الأوروبي ، وإلى وضع كلمات عربية تحمل محلها قدر بعضها أن يدور على الألسنة والأقلام ، وقدر لبعضها أن يموت .

(٣) ولكن من الأمم ما لا تتخذ هذا الموقف العدائي نحو ما في لغتها من دخيل لأسباب خاصة بها ؛ وأقرب مثال على ذلك المتكلمون بالإنجليزية . وذلك لأن اللغة الإنجليزية بطبيعتها تكونها وتطورها كثيرة الكلمات الدخيلة المستعارة من لغات كثيرة مختلفة قديمة ووسيلة وحديثة ، فاحساس المتكلمين بها نحو الإضافات الكثيرة التي تضاف إليها عن طريق الأخذ المباشر من لغات أخرى لا يحدو الغضب الرفيق .

(١) انظر Margaret Schlauch : The Gift of Tongues : pp. 282 283

(٢) قال حافظ إبراهيم شاعر النيل على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آي به ومظلات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنطق أسماء المحترعات

اللغة والحياة السياسية

إن استعمال اللغة في جوانب النشاط السياسي المختلفة - والسياسة وجه من وجوه الحياة الاجتماعية - محوج إلى فضل دراسة من كلتا الناحيتين الوصفية والتاريخية. ودراسة هذه الوظيفة من وظائف الكلام من شأنها أن توقفنا على حقائق عن اللغة لا تظهرها سواها من الوظائف، أو هي لا تظهرها بنفس القوة والوضوح.

أ - ومن عناصر دراسة لغة السياسة، دراسة المصطلحات والتعبيرات التي يصطنعها كل نظام من الأنظمة السياسية المختلفة دعابة لنفسه، وتشديداً لحكمه، وفي تعامله مع نظام آخر يخالفه. فوسائل الإقناع الكلامية مثلاً تختلف في النظام الفاشستي الهتلري أو الموسوليني عنها في نظام ديمقراطي، وهي تختلف في هؤلاء جميعاً عنها في النظام الشيوعي أو الاشتراكي، الروسي بوجه عام، كما أنها في النظام الأخير تختلف بعض الشيء زمن لينين عنها زمن ستالين وعنها بعد ستالين وعنها أيام «خروشوف». ولكن هذه الوسائل، على اختلافها باختلاف الأنظمة السياسية، وعقليات الشعوب، والوضع الحضاري للأمم التي يوجه إليها الكلام، وبغير ذلك، قد تشترك في طائفة من السمات العامة.

ب - ومن ذلك دراسة لغة الانتخاب: فتدرس اللغة المستعملة في الحملات الانتخابية تحريضاً على انتخاب مرشح وتنقيراً من انتخاب سواه، مع بيان اختلافها باختلاف طبقة الناخبين، واللغة المتصلة بالتقسيم الإداري للدوائر الانتخابية، وباعطاء الأصوات و«فرزها» وإعلان نتيجة

الانتخاب : ولغة القوانين التي تصدرها الدولة فيما يتعلق بهذا الموضوع ،
ولغة الصحف والمجلات والإذاعة في هذا الشأن ، وتعليقات الجماهير على
كل أمثلك ، وما سوى ذلك من جوانب استعمال الكلام الانتخابي كل هذا
يدرس ، ويصنف وتاريخيا في اللغة الواحدة . واو درس في العربية المستعملة
في مصر منذ أول عهدها بالحياة الانتخابية حتى أيامنا لتفصح لنا كيف ماتت كلمات
وحوش أخرى ، وتبدلت دلالات ثالثة ، ولظهر لنا كيف تغيرت وسائل الإقناع
تمشيا مع ازدياد الوعي الانتخابي للجمهور المصري نتيجة لما خاضه من تجارب ،
ولتقدمه الحضاري بوجه عام .

س - ودراسة لغة المراسيم التي يصدرها رئيس الدولة في الشؤون
السياسية كتكليف وزارة بالحكم : أو إقالة وزارة ، أو افتتاح البرلمان أو
«مجلس الأمة» أو تأجيله أو تعطيله على جانب من الأهمية . ولو نظرنا مثالا في
لغة مرسوم إقالة وزارة مصطفى النحاس (باشا) من الحكم سنة ١٩٣٧ ، وفي لغة
مرسوم تكليف الوزارة التي واينته في الحكم ثم في لغة مرسوم تكليف مصطفى
النحاس بالحكم مرة أخرى بعد ذلك ، وربطنا كل ذلك بظروفه لظهر لنا كثير
من الحقائق عن الوظيفة التي يمكن أن تؤديها اللغة . كما أن دراسة لغة
الخطب العرش ، تظهر لنا من ألوان استعمال اللغة في الميدان السياسي .

ج - وتحليل المفردات والتعبيرات المستعملة في الحروب تمهيدا
لنا ، واثباتها ، وبتمهيدها من شأنه أن يقدم لنا معلومات كثيرة عن حقيقة
اللغة وعملها . في الحرب العالمية الثانية اتخذت كلمة «الديمقراطية» لونا
جديدا ، وتغيرت دلالة «الحلفاء» فيها كانت تتضمن في نظر «الغربيين»

بغضنا للروس لأنهم لم يكونوا « حلفاء » من قبل ، أصبحت أثناء الحرب الثانية تعنى - من جملة ما تعنيه - مشاركة الروس في التخلص من عدو مشترك . كما أن عبارتي « العالم الحر » و « الأمم الحرة » كانتا أثناء الحرب تدلان على جملة الشعوب المعادية لألمانيا وإيطاليا ولكن بعد أن اشتدت « حرب الأعصاب » بين « الكتلة الشرقية » و « الكتلة الغربية » بعد انتهاء الحرب أخذت هاتان العبارتان تنطويان على المعاداة للكتلة الشرقية . كما أن الكلمات الإنجليزية المقابلة لـ « العرق » و « السدم والدموع » التي وردت في خطاب لـ « ونستون تشرشل » ، أثناء الحرب ترمز عند الإنجليز وعند كثير من حلفائهم إلى وجوب موالة اليهود ، والدأب ، والصبر ، والتماسك لإحراز النصر .

هـ . وتذكر لغة الحرب بلغة « السلام » والدعوة إليه ، والتحذير من من الانسياق إلى الحرب .

و - وإن تحليل « التغيرات الدلالية » التي تصعب الثورات والانقلابات لأمر على جانب كبير من الأهمية والطرافة . فالجركات الثورية ، كالثورة الفرنسية ، والثورة الشيوعية ، والثورة المصرية سنة ١٩١٩ تنعكس في اللغة قيمتها ومعنوياتها والدفع الذي تحدثه . ويبرز ذلك ، أظهر ما يبرز ، في أنها تميت كثيرا من الكلم إذ تميت أو تريد أن تميت كثيرا من العقائد والأفكار والعادات ، وفي أنها تحيي وتخلص كثيرا من الكلم إذ كانت

بطبيعتها الثورية تحيي وتخلق وتريد أن تحيي وتخلق كثيرا من القيم وطرق الحياة وفهمها ، وفي أنها تغير دلالات كثير من الكلم إذ كانت بطبيعتها ملحقمة التغيير في كلا الميدانين الروحي والمادي .

(١) ولو درسنا أثر التلويح الثوري لمصر الحديثة في اللغة لاتضح لنا حقائق كثيرة ، فالثورة العرابية التي كانت تتضمن ، في جملة ما تتضمنه ، إحياء القومية المصرية أضافت إلى كثير من الكلمات معاني الهزء والسخرية وإلى غيرها كـ « مصر » و « المصري » و « الفلاح » و « الفلاحون » معاني الاعتزاز والفخر .

(٢) أما ثورة سنة ١٩١٩ فمن العبارات التي تذكر بها « الهلال مع الصليب » رمزا إلى الأخوة والتماسك بين المصريين مسلمين وأقباطا ، ودعوة إلى إحباط التدخل الأجنبي للتفريق بينهما ، ومن ذلك إشارة المسلمين إلى الأقباط بهولهم « إخواننا الأقباط » . وما يلاحظ أن كثيرا من مواليد بعد الثورة قد سموا : « سعد زغول » أو « سعد » و « صفية » « أم المصريين » . وما من شك في أن لغة الأغاني والأناشيد المصرية قد غيرها تغييرا كبيرا ثورة سنة ١٩١٩ ؛ وربما ساع لنا القول بأن الانشأة الحقيقية للأناشيد المصرية الوطنية مرتبطة بثورة ١٩١٩ . وقد غيرت هذه الثورة من أسلوب الصحافة خاصة ومن أسلوب التعبير الكتابي والكلامي عامة ، فأخذ يخلص من كثير من الزخرف والزينة والقيود التي لا طائل من ورائها ، ويسلس ويستقيم ، فان ما أحدثته الثورة من تنشيط وتحريك وما رفعت عنه الناس من خمول ، وما ألجأت إليه من سرعة في الفعل قد

انعكس صدهاء في اللغة . وإن ما بين أيدينا من حقائق عن ثورة سنة ١٩١٩ يدل على أن أثرها في العاميات العربية وفي العربية الفصحى في مصر وفي سائر الأقطار العربية أثر خطير ينتظر من يكشف عنه في تفصيله وجملة ، ومن يقومه التقويم للصحيح .

(٣) وأما ثورة الجيش المصري سنة ١٩٥٢ فلها كذلك ، شأن كل ثورة آثارها في اللغة .

١ - فما أحدثته هذه الثورة من إلغاء الألقاب قد حكم بالموت على كثير من الكلمات والعبارات من لغة الكتابة بوجه خاص . فلم تعد تطلق على المصريين ألقاب مثل « حضرة » و « أفندي » و « بك » و « باشا » ، و « صاحب العزة » و « صاحب السعادة » و « صاحب المعالي » و « صاحب الرفعة » و « صاحبة العصمة » و « البرنس » و « الأمير » و « الأميرة » و « سمو الأمير » و « سمو الأميرة » ، و « الملك » و « صاحب الجلالة » و « وجلالة الملك » و « الذات الملكية » و « الملكة » و « صاحبة الجلالة . . . » و « الملكة الوالدة . . . » الخ كما لم تعد نستعمل تصرفات كثير من هذه الكلمات والعبارات في التأنيث والتثنية والخطاب والإشارة . وما من شك في أن كثيرا من هذه الألقاب قد استمر في لغة الأحاديث الخاصة بين طوائف من الناس ، فكثير من الأحياء من أصحاب هذه الألقاب ظلوا يخاطبون بألقابهم وبما يتصل بها من صفات إما لإصرارهم على أن يخاطبهم أتباعهم والمخالطون لهم بهذه الألقاب ، وإما تأديبا من المتكلمين خشية أن يشعروهم بأن منزلتهم قد عرأها النقصان ، وإما

لهذين معا ، أو لغير ذلك من الأسباب . والروايات كثيرة على غضب كثير من حملة هذه الألقاب أو استيائهم - في أوائل العهد بالغاء الألقاب خاصة - عندما يخاطبون مجردين من ألقابهم . وقد كان يحدث ، أول الأمر عندما تخرج الإشارة في الكتابة إلى أحد من حملة الألقاب أن يوضع اللقب بين قوسين ، أو أن يردف اللقب بكلمة « السابق » أو « السابقة » أو « سابقا » ، ثم أخذ الناس يكتبون بذكر الاسم مجردا عن اللقب في الأغلب واكن ثورة الجيش ، وقد ألقت الألقاب المشعرة بالفوارق الطبقية الكبيرة ، أوجدت لقبا جديدا وهو « السيد » ومؤنثه « السيدة » . يطلق على المواطنين المصريين كافة ، وبهذا أعطت هذا اللقب دلالة جديدة لم تكن له . وهذا اللقب في العربية في مصر يختلف عن Mister في الإنجليزية و Monsieur في الفرنسية و Her في الألمانية فهذه الألقاب تطلق على السواد الأعظم من الإنجليز والفرنسيين والألمان أولئك الذين لا يحملون ألقابا مثل Sir و Lord و... الخ . وباستعمال « السيد » بهذا المعنى استعملت معه عبارات مثل « سيادتكم » و « سيادة » فلان ، و « سيادته » عند الخطاب والإشارة .

تظهر دراسة لقب « السيد » وتصرفاته في العربية دراسة تاريخية أن هذا اللقب ذو تاريخ طويل متطور ، اصططنعه العرب في جاهليتهم وإسلامهم واستعملته الأمم التي اتخذت العربية بعد إسلامها ، وبعض الأمم الإسلامية الناطقة بغير العربية ، وهو لا يزال قائما في أيامنا ، وأعطى في مصر دلالة جديدة بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ، وقد سبق أن انتقل هذا اللقب من العربية إلى بعض اللغات الأوروبية . وقد استعمل مؤنثه « السيدة » لقبا ، كما استعمل مثناه وجمعه مذكرين ومؤنثين « السيدان - السيدتان السادت - السيدات » .

١ - هذا اللقب في الشعر والنثر وفي القرآن الكريم (والقرآن نفسه قد
 نعت به بحقائق الزجاج به « سيد الكلام ») انظر لسان العرب مادة
 « سيد ») وفي الحديث الشريف . ولم يكن قاصرا على الفصحى . وتبع
 استعمال هذا اللقب في العصور المختلفة يظهر أنه لم يكن في عصر من
 العصور دالة واحدة بل هو في العصر الواحد يدل على أكثر من معنى ،
 وأما استعماله جميعا ينتظمها معنى التعظيم والانشريف والتفضيل والتبجيل ،
 وقد تحوّل التفضيلة التي يطلق بسببها هذا اللقب سموا في الخلق أو براعة في
 النفس . أو شرفا في النسب ، أو كالا في الجسم ، أو امتلاكا لغير هذا من
 أسباب السلطان والبروز . ولما كانت هذه المعاني هي الأساس في إطلاقه
 اتسع أنه يأتى إطلاقه على كثير من القوى ، وعلى كثير من الأشخاص
 والحيوان والأشياء ، وهذا الذي كان .

٢ - كان « السيد » يطلق في الجاهلية على « الملك » رئيس القوم ،
 سواء كان رئيس قبيلة أو رئيس عشيرة أو أدنى من ذلك ، وعلى من يقدمه
 القوم على أنفسهم ، وعلى من يتكلم باسمهم في أمر من الأمور : قال زهير
 ابن أبي سلمى في معلقته مخاطبا هرم بن سنان والحارث بن عوف :

يَمِينَا لَنَعْمَ السَّيِّدَانِ وَجَدْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمِيرٍ

وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ مِنْ أَخِيهَا صَخْر :

السيد الجحججح واب ن السادة الشم الجحججح

وكان يطلق على غير رئيس القوم إن برزت فيه صفة يعلى مجتمعه من
 شأنها كالشجاعة الفارطة ، وال حلم البالغ ، واحتمال أذى الناس ، والإغراق في

السخاء ، ورجاحة العقل ، والتفوق في المال . كما كان يطلق على كبير السن .

ومن أطلق عليه لقب « السيد » في الجاهلية مولى العبد أى صاحبه لأنه مالكه ، واستمر استعمال السيد في هذا المعنى طوال نظام الرق ، ولا يزال يطلق على « صاحب البيت » (= رب الأسرة) بالنسبة لـ « خادمه » .

وبين ما أثر من التصوص الجاهلية أن زوج المرأة كان يلقب بسيدها (وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « وألقيا سيداها لدى الباب » أى بعلمها) .

وكما كان « السيد » يطلق على الشريف والرفيع والمالك من الأشخاص فلقد كان يطلق من قديم على « المسن » من المعز : قال الشاعر :

سواء عليه شاةٌ عامٍ دنت له ليذبها للضيف أم شاةٌ سيّدٍ

ومنه الحديث الشريف : « كُنِيَ من الضأن خير من السيّد من المعز » .

وكان الحمار الوحشى يسمى سيداً أثناءه ، وأطلق « السيد » على الرئيس الجن :

جنٌ هتفن بليل يندبن سيدهنه

٢ - وفي القرآن الكريم استعمال السيد بمعنى الزوج (وألقيا سيداها لدى الباب) ؛ وسمى الله تعالى « يحيى » سيداً وحصُوراً أى أنه فاق غيره عفة ونزاهة عن الذنوب أو بمعنى الرئيس والإمام فى الخير ، أو لغير ذلك من أسباب التقديم .

٣ - وفي الحديث الشريف أن النبي (صلعم) سمي الله - تبارك وتعالى -

« السيد » (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أنت سيد

قريش ؟ » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « السيد الله » ، فقال « أنت أفضلها قولاً وأعظمها فيها طويلاً » ، فقال النبي (صلعم) « ليقول أحدكم بقوله ولا يستجبر ثنكم » (وصفة الله جل ذكره بالسيد معناه أن الله مالك الخلق والخلق كلهم عبيده . ونحسب أن وصف الله و « الرب » والمعبود بالسيد أقدم من هذا . وهذا القول من الرسول تواضع و كراهة أن يمدح في وجهه ، ولا شك أن الرسول (صلعم) كان يفضل أن يلقب بنبي الله ورسوله لا بـ « السيد » هذا الذي كان يسمى به العرب رؤساءهم كما ورد في بعض الأحاديث (في لسان العرب مادة « سود » : وقيل في معنى قوله لهم لما قالوا له « أنت سيدنا » وقال « قولوا بقولكم » ، أي ادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم فإني لست كأحدكم من يسودكم في أسباب الدنيا) .

وقد روى عن الرسول (صلعم) استعمال « السيد » في بعض ما كانت تستعمله فيه العرب فقد روى أنه قال للأنصار « قوموا إلى سيدكم يقصد سعد بن معاذ ، وأنه سأل الأنصار مرة « من سيدكم » قالوا « الجاهل ابن قيس على أنا نبيخله » قال : « وأي داء أدوى من البخل ؟ » وروى عن الرسول قوله : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » . ولما كان السيد في الجاهلية لقباً يرفع من أشخاص ويضع من آخرين ، ولما كان الإسلام يدعو إلى التسوية ، ويهدف إلى القضاء على الفرة فقد روى عن محمد (صلعم) أنه قال : « كل بني آدم سيد : فالرجل سيد أهل بيته ، والمرأة سيدة أهل بيتها . » وقال الرسول للحسن بن علي : « إن ابني هذا سيد وإن الله يصلاح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، كما سمي الرسول عـلي

ابن أبي طالب « سيد العرب » و « سيد المسلمين » ، ولقب الحسين بن علي بأنه « سيد شباب أهل الجنة » ولقبه هو والحسن بأنها « سيدا شباب أهل الجنة » وقال الرسول عن فاطمة الزهراء إنها « سيدة نساء أمتي » أو « سيدة نساء هذه الأمة » أو « سيدة نساء العالمين » و « سيدة نساء أهل الجنة » . وهذه الأحاديث في علي وزوجته وولديه قد يعيل بعض الباحثين إلى الظن بأنها من صنعة الشيعة في عصر متأخر .

٤ - كان الصحابة يخاطبون الرسول أحيانا بـ « سيدنا » ويشيرون إليه بـ « سيدى » ، وفي حديث عائشة أن امرأة سألتها عن الخضاب فقالت : كان سيدى رسول الله (صلعم) يكره ريحه ، وهذا اللقب قد ينصرف هنا إلى معنى السيادة تعظيما للرسول أو إلى ملك الزوجية ، وقد أطلق هذا اللقب على بعض رجال الصحابة ومن ذلك حديث أم الدرداء « حدثني سيدى أبو الدرداء » و « سيدى » هنا يصدق عليها ما يصدق على « سيدى » في النص السابق . وقد رأينا في الأحاديث النبوية السابقة أن من الصحابات اللاتي سمين بـ « السيدة » فاطمة الزهراء .

٥ - وفي الشعر العباسي أمثلة تشهد باستعمال « سيدتى » و « سيدى » خطابا للمحبوب . قال أبو العتاهية :

ألا ما لسيدتى ما لها أدلاء فأحمل إدلالها ؟

وقال البحتري :

سيدى أنت ما تعرضت ظلما فأجازى به ولا خنت عهدا

٦ - ومن أشهر الاستعمالات الإسلامية للسيد والسيدة ، وتصرفاتهما في

الثنية والجمع ، إطلاقها على العلويين والعلاليين وقد ظهر هذا الاستعمال بشكل مستفيض إبان اضمحلال الدولة العباسية ؛ وهو في هذا شبه بلقب « الشريف » . والأرجح أن هذا الاستعمال للسيد ومتصرفاته كان متأثرا بالأحاديث النبوية التي تلقب كلا من علي بن أبي طالب والحسن والحسين بالسيد ، والتي تلقب فاطمة بالسيدة ؛ إن صحت هذه الأحاديث ، وقد أوردنا بعضها فيما تقدم . كان العلوي أو العلالي - ولا يزال يلقب به « السيد » أو « السيد الشريف » أو « الشريف السيد » - أحاطت مادة Sharif في دائرة المعارف الإسلامية في وصف أفراد من العلويين بلقب سيد على كتاب « عمدة الطالب في أنساب علي بن أبي طالب » لابن مهني طبعة بومباي ١٣١٨ هـ ص ٥١ سطر ١٦ . ص ٥٢ س ٢ ، ص ٥٤ س ١٠ ، ص ٥٩ س ٢ ، ٦ ، ٩ ، ١٦ ، ص ٦٥ س ١٥ ، ١٧ ، ص ١١٧ ، ص ١٢٢ س ٧ ، ص ١٤٩ س ٩ ، وعلى « تاريخ الإسلام » للذهبي مخطوط في لندن 1271 الذي يضيف هذا اللقب إلى الإمام الثاني عشر علي بن محمد (f. 65) وأحاطت هذه المادة نفسها في استعمال اللقبين « السيد الشريف » و « الشريف السيد » على نهاية الأرب للنويري ط . القاهرة ١٣٤٢ هـ . ص ٢٧٧ سطر ١٢ ، وعلى « العقود اللؤلؤية » للخزرجي Gibb. Mem. Ser. ١٩١٣ م . ص ٢٠٠ (٣١٤) .

٧ - وقد أطلق « السيد » كذلك على الصوفي وأئولي والجليل من الفقهاء وأطلق جمعها « السادة » أو « السادات » على الجماعة من كل هؤلاء ، ومن ذلك ، « السادة الصوفية » ، و « السادات الأولياء » (انظر الشرجي :

طبقات الخراسان ، القاهرة ١٣٧١ هـ ص ٢ س ٩ ص ٣ س ١ ، ص ١٩٥
س ٣ - عن دائرة المعارف الإسلامية مادة Sharīf و « السادة الأعلام »
(ابن حجر الهيتمي : الفتاوى الحديثة ص ١٣٤ س ٤ - عن دائرة المعارف
الإسلامية مادة Sharīf

٨ - وتعمل « السيد » لقباً في بعض البلاد الإسلامية التي لا تنكح
العربية كإيران وتركيا والهند والملايو .

وبالإضافة إلى « سيد » يستعمل في فارس لقب « مير » (من « أمير »)
وكان هذا اللقب شائعاً في تركيا والهند كذلك . أما في مناطق الملايو
فيستعمل بالإضافة إلى « سيد » لقب « حبيب » (بمعنى « محب » أي
للنبي أو بمعنى « محبوب » أي محبوب منه) وهذا اللقب يستعمل كذلك
في مناطق من بلاد العرب .

٩ - أما « سيدي » ، وبالعامية « سيدي » فهو الآن شائع الإطلاق في البلاد
العربية والإسلامية المختلفة على الأولياء والأخيار (ومن ذلك في الإسكندرية
سيدي جابر - سيدي باقوت العرشي - سيدي أبو العباس . وسمعت في
بنغازي « سيدي عبد السلام » - سيدي خليفة ، سيدي غريب ... الخ)
ومن الواجب تتبع استعماله في هذا المعنى من الناحية التاريخية . ومن
الملاحظ أن « سيدي » بهذا المعنى كثير الورد في كتاب « لواقح
الأنوار في طبقات الأخيار » للشعراني ، ط . القاهرة ١٣١٥ هـ .

١٠ - ومن استعمالات « سيدي » الحالية في بعض البلاد العربية إطلاقه
على الرؤساء تعظيماً واحتراماً ، وأكثر من هذا شيوعاً إطلاقه على كبير

السن والمقام . وفي كثير من البلاد العربية يخاطب رب الأسرة لا سيما من يقومون على خدمته ، وزوجته كذلك في بعض البلاد وفي بعض الأوساط بقولهم « سيدى » ، كما يشار إليه بنفس اللقب ، بينما تخاطب ربة الأسرة ويتحدث عنها ، من خدمها ومن يقل عنها شأنا : « ستى » . وقد ذكر لى أستاذنا الدكتور طه الحاجرى أنه في ريف بنى سويف من صعيد مصر لا يخاطب الخادم « سيده » : « سيدى » بل يخاطبه : « يا عمى » ، أما للعم الحقيقي أخو الأب فيخاطب ويتحدث عنه : « أبويا » و « أبويا على » معناها « عمى على » .

١١ - وفي مصر تستعمل « سيدى » مضافة إلى الضمائر المناسبة في الأكثر بمعنى الجد (أبى الأب أو أبى الأم) ويقابل هذا في المؤنث « ست » مضافة إلى الضمائر المناسبة بمعنى الجدة (أم الأب ، أو أم الأم) وسمعت في بنغازى « سيدى » بمعنى « عمى » أخى أبى .

١٢ - وفي كثير من البلاد العربية يخاطب السائلون من يرجون « حستهم » : « ياسيدى » ومن ذلك في مصر : « حسنة يا سيدى » و « شىء الله يا سيدى » إن كان المستول رجلا و « يا ستى » إن كان امرأة .

١٣ - وتستعمل في مصر عبارة « سيدى يا سيدى » في أحوال خاصة كالعرض بحسناء مختالة مزهوة .

١٤ - ويستعمل في معظم البلاد العربية مختصر « سيدى » هو « سى » وما هو جدير بالملاحظة أن « سى » في مصر له حالات من الاستعمال ،

ولا يجوز أن يحل محل « سيدى » فى بعض الحالات ، فلا يقال « سى باقوت العرشى » ، ولا يخاطب الخادمُ ربَّ الأسرة أو يتحدث عنه ، وخاصة إذا كان رب الأسرة كبير السن ؛ « سى أحمد » مثلاً ؛ وأكثَر ما يستعمل فيه هذا اللقب احترام الشباب خاصة ، وقد تتحدث الأم نفسها عن ابنها الشاب ؛ « سى فتحي » وقد تخاطبه بهذا اللقب .

١٥ - أما « سيدتنا » - أو « سيدتنا » فى العامية - فلا يزال كثير الإطلاق على الرسول (صلعم) وعلى الصحابة (سيدنا محمد - سيدنا أبو بكر - سيدنا عمر - سيدنا عثمان - سيدنا علي) وعلى الأنبياء والرسل والملائكة (سيدنا نوح - سيدنا يوسف - سيدنا موسى - سيدنا جبريل) . وقد لاحظنا أن إطلاق سيدنا على هؤلاء قديم . وفضلاً عن هذا الاستعمال فإن « سيدنا » تطلق فى ريف مصر على معلم الصبية فى الكتاب . و (سيدتنا) وهى مختصرة من « سيدتنا » ، تطلق على أمثال السيدة « خديجة » زوج الرسول (صلعم) ، وعلى أمثال السيدة « زينب » والسيدة « عائشة » والسيدة « نفيسة » ، ولكن لا يجوز أن تلقب إحدى هؤلاء السيدات ؛ « سى » فلا يقال « سى زينب » الخ .

وقد شاع فى العصر الحديث فى كثير من البلاد العربية التمييز بين المتزوجة والبيكر - لا سيما فى لغة الكتابة - بتأليب الأولى « السيدة » وتأليب الثانية الآنسة ، وقد ذكرنا أن تسمية الزوجة ؛ « السيدة » تسمية جد قديمة ترجع إلى العصر الجاهلى .

١٧ - أما « ستى » (مختصر سيدة) و « سى » (مختصر سيدنى) « و « ستنا » (مختصر سيدتنا) فهى كثيرة الاستعمال فى كل البلاد

العربية ، وقد أشرنا إلى بعض استعمالاتها . ويبدو أنها - أو (ريتي)
على الأقل - قديمة الاستعمال ، وقد وردت في بيت لأبي العلاء المعري في
رسالة الغفران . قال :

ست إن أعيالك أمرى فاحمليني زَقْتُمونا

١٨ - وقد أطلق لقب (السيد) و (سيد) على جماعة من غير
المسلمين أشهرهم البطل المسيحي الأسباني رودريجو دياز Rodrigo Diaz
da Vivar الذي لقب بـ (السيد) وغلب هذا اللقب على اسمه ، وهو
من أشهر أبطال فرسان قشتالة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر
الميلادي ، وهو نبيل قشتالي (ولد سنة ١٠٢٦ م أو سنة ١٠٤٠ م) وقد
عاون صاحب قشتالة Sancho II على توسيع رقعة مملكته وأصبح
أمير جيشه بلقب Campeador (من اللاتينية Campeator التي كان العرب
يكتبونها « الكَشْبِيَّطُور » — يلاحظ أن الفون في هذا الوضع تنطق
مبارهي بمعنى « مبارز » أو « برّاز » ١) .

(١) هاون رودريجو بخالسي نصحه صاحب قشتالة على أن يصبح حاكم مملكة (ليون)
Leon وذلك بأسره أخاه الفونسو . ولكن بعد مقتل صاحب قشتالة تولى أمرها أخوه
الأسير الفونسو السادس ، وكان يحقد على رودريجو لقاء خارج مملكاته . ومن ذلك الوقت
أخذ رودريجو يحارب المسلمين أو المسيحيين خدمة لطرف ثالث أو خدمة لنفسه . ثم عرض
رودريجو خدماته على أحد بن سليمان المقتدر صاحب مملكة Saragosa فذهبه المقتدر إلى
جيشه هو وجنوده المرتزة . وقد مات المقتدر في نفس السنة التي انضم إليه فيها رودريجو
وجنوده ، وتولى حكم سرقطة بعده ابنه يوسف المؤمن ، وظل رودريجو في خدمة المؤمن ، =

٢ - وقد اقتضى تحول مصر من النظام الملكي إلى النظام الجمهورى
حذف « ملكى » (أو « ملكية » وما إليها) من العبارات التى كانت ترد
فيها صفة لها فأصبح يقال : « الجمهورية المصرية » و « القصر الجمهورى »
و : « الديوان الجمهورى » و « مرسوم جمهورى » و « جيش الجمهورية »
و « رئيس الجمهورية » و « رئاسة الجمهورية » و « سلاح الطيران »
الجمهورى » الخ .

وبعد قيام الوحدة بين مصر وسورية فى فبراير ١٩٥٨ أصبح اسم
الدولة الكبيرة « الجمهورية العربية المتحدة » ، ولا تزال هذه التسمية قائمة
بعد الانفصال الذى قام به « الرجعيون » فى سورية .

= وتولى ابن آخر للمنتد هو المنتد حكم مقاطعات أخرى . وما لبثت الحرب أن شبت بين
الأخوين وقد تحالف المنتد مع مسيحيين مما ملك أرجون A 300 وصاحب برشلونه . وسرعان
ما أحرز رودريجو نصرا يينا على أعداء سيده المؤمنين على الرغم من تفوقهم العددي ، وغنم
مغانم كبيرة ، وأسر صاحب برشلونه ثم أطلق سراحه متكرما ، ولما عاد الى سر قسطة
استقبل استقبالاً باهرا وأغدى عليه المؤمنين الهدايا ، وعلا شأنه في نظر المسلمين من جنده
فأخذوا من ذلك الوقت يلقبونه بـ « سيدى » و (روى بالعامية « سيدى ») . وقد ترجمت
إلى الإسبانية بـ mio Cid (وبلاحظ أن قصيدة Cid المشهورة كانت تسمى أصلا
El Cantar de mio Cid) وكثر استعمالها في الإسبانية بهذه الصورة أو بحذف ضمير
الملكية وهو mio (الكلام عن رودريجو مأخوذ عن مادة Sid دائرة المعارف الإسلامية) .
ومن الإسبانية انتقلت كلمة « سيد » إلى غيرها من اللغات الأوروبية .

ومن الملاحظ أن « السيد » كان يطلق في إسبانيا الإسلامية على المسلمين ؛ ومن

ذلك « ابن السيد البطلبوسى » العام المشهور ، والكلمة بهذه الصورة ؛ أي بالالف واللام
وبكسر السين « لا تشمل في بلاد عربية شرقية كصر مثلاً ، وهي لا تزال تسمع في
مراكش .

٣ - وقد نتج عن قضاء ثورة الجيش على الأحزاب التي كانت موجودة قبل قيامها ، وعن تحديدها الملكية الزراعية أن أصبحت بعض كلمات وعبارات تهمة يخاف الناس أن يوصفوا بها مثل «حزبي» ، أو «وفدي» ، أو «إخواني» (من «الإخوان المسلمين») ، أو «إقطاعي» ، أو «من كبار الملاك» .

٤ - وقد كثر استعمال كلمة «التحرير» مع ثورة الجيش فهناك «هيئة التحرير» و «مديرية التحرير» و «جيش التحرير» . ومن العبارات والكلمات التي كثر استعمالها مع الثورة «الاتحاد والنظام والعمل» و «العزة» و «الكرامة» و «القومية العربية» و «التأميم» (بعد تأميم شركة قناة السويس بصفة خاصة ، وزاد استعمالها زيادة كبيرة بعد القوانين الاشتراكية التي صدرت في يوليو ١٩٦١) .

٥ - واستعملت في مصر عبارات دالة على تنظيمات لم يكن لها وجود مثل «الاتحاد القومي» و «الاتحاد الاشتراكي العربي» .

٦ - وكما يحدث في كل الثورات والانقلابات فقد طرأ تغير على أسماء الاعلام كأسماء الشوارع والمحلات والأماكن والأشخاص ، فغيرت أسماء شوارع كثيرة كانت معروفة بأسماء أجنبية ، أو بأسماء مصريين اعتبروا أعداء للشعب كأسرة محمد علي ، بأسماء تتلاءم والوضع الجديد كـ «طريق الجيش» و «طريق ٢٦ يوليو» و «ميدان التحرير» ، وأصبحنا نطالع على واجهات بعض المحلات والمنشآت «مطعم الجمهورية» ، «كازينو التحرير» ، «قهوة النصر» ، «سينما الجلاء» الخ .

٧ - وإذا كانت مصر لا تتعاون مع روسيا أيام الملكية فقد كان يحيط

بكلمات مثل « روسيـا » و « روسي » و « سوفيت » و « سوفيتي »
و « الشيوعية » و « شيوعى » و « الماركسية » و « ماركسى »
و « الاشتراكية » و « اشتراكى » شىء من الخوف والغموض ، ولكن
هذا قد زال بعد ما قام من تعاون بين الدولتين حديثا ، وبعد ما اتخذت
الجمهورية العربية المتحدة النظام الاشتراكى نظاما لها .

٨ - ومع اتخاذ النظام الاشتراكى نظاما للجمهورية العربية المتحدة لما
صدرت قوانين يوليو ١٩٦١ - استغاض استعمال كثير من مفردات النظرية
الاشتراكية ومصطلحاتها وعباراتها من سياسية واقتصادية واجتماعية ، ودخل
العربية شىء جديد من هذا .

١ . نعم إن « قاموس » الاشتراكية - أى المفردات والعبارات الخاصة
بها - بدأ استعماله فى مصر - وفى غير مصر من البلاد العربية على خلاف فى
الدرجة والفهم والعبارة - منذ ظهور النظرية الاشتراكية وانتشار التفكير
فيها فى العالم أجمع ، ولكنه كان يستعمل فى نطاق ضيق نسبيا ، فى بعض
كتب السياسة والاقتصاد والقانون ، وبرقيات الصحف ، وبعض المنشورات
السرية ، وأخذ هذا يزداد شيئا فشيئا مع ازدياد الوعي القومى ، وفى
محاولات التخلص من الاستعمار والاستبداد والظلم الاجتماعى قبيل ثورة
١٩٥٢ ، وازداد بعد الثورة عند ما نال الشعب حريته السياسية وأخذ يفكر
فى تقرير مصيره ، وبلغ ذروته بعد تطبيق النظام الاشتراكى فى الجمهورية
العربية المتحدة فقد صارت هذه المفردات والعبارات جزءا أساسيا من حياتنا
ترد فى المراسيم والقوانين ، والقرارات الوزارية ، وتصدر عن الحكام فى
أحاديثهم وتصريحاتهم ، وتسمع فى الإذاعة والتليفزيون ، وتطالع فى
الصحف والمجلات ، ويقرؤها خطباء المساجد ، وتدرس فى المدارس ، بل

ويشدد بها المغنون والمغنيات ، ويطلق بعضها على شيء من الآثار الفنية :
الموسيقية ، والتصويرية . الخ ، وانتقل كثير منها من « اللغة النصحي »
إلى لغة الأحاديث اليومية .

٢ . وتنتظر دراسة هذه المفردات والمصطلحات من يتعقبها منذ
بدء استعمالها في العربية الفصحى - في مصر على الأقل - مع بيان العبارات
المختلفة التي كان يترجم بها أوائل المترجمين بعضها عن الإنجليزية أو الفرنسية ،
وتحديد دلالاتها ومجالات استعمالها في كل فترة ، وموقف « السلاطات » من
بعض من كانوا يفكرون تفكيراً « اشتراكياً » ، أو يستعملون بعض
العبارات الاشتراكية ، أيام « سيطرة الاقطاع » و « رأس المال الفردي »
و « الظلم الاجتماعي » ثم إظهار التطور الكبير الذي مرت به في السنوات
القليل الأخيرة عند ما اتسع مجال استعمالها هذا الانساع ، وعندما قضت
على كثير من المفردات والعبارات التي كانت شائعة من قبل في لغة الصحافة
والكتابات الرسمية والمؤلفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية

ونتائج هذه الدراسة لابد أن تُدرج في مواضعها من القواميس العامة
لغة العربية ، فلا تزال معاجنا خالية ، أو تكاد أن تكون خالية من
الإشارة إلى أمثال هذه المفردات والاصطلاحات والتركيبات ، وبيان
ما يعرف بعضها من اختلاف الدلالة على مر العصور .

٣ . وإن مطالعة مشروع « الميثاق » الذي قدمه السيد الرئيس جمال
عبد الناصر في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية مساء يوم
٢١ مايو ١٩٦٢ لشاهدة بمدى دوران عبارات الاشتراكية على الألسن

والأقلام ؛ وهذه طائفة منها وردت في نص « الميثاق » :

— « المحلية الثورية » ، « الدفع الثوري » ، « العمل الثوري » ، « الدفع الثوري » ، « الانطلاق الثوري » ، « المفاهيم الثورية » ، « الحوافز الثورية » ، « الجماهير » ، « الطاقات الثورية » .

— « التحالف بين الإقطاع وبين رأس المال المسغل » ، « تحالف الإقطاع والرجعية الحاكمة » ، « الديكتاتورية الطبقية » ، « استغلال الجماهير » ، « تسليط العناصر الرجعية » ، « الصراع الحتمي والطبيعي » بين الطبقات » ، « إزالة التصادم الطبقي » ، « تصفية الرجعية وتجريدها من جميع أسلحتها » ، « تذويب الفوارق بين الطبقات » ، « سلمية الصراع الطبقي » ، « دموية الصراع الطبقي » ، « تصادم مصالح الرجعية مع مصالح الشعب » ، « نضال الشعب » « إزالة المتناقضات » .

— « سيطرة رأس المال » ، « تحكم رأس المال » ، « ملكية وسائل الإنتاج » ، « سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج » ، « الاحتكار » ، « الاحتكارات الرأسمالية الكبرى » ، « الرأسمالية المحلية » ، « رأس المال العالمي » ، « قاعدة النزوة الوطنية » ، « عنصرية رأس المال الخاص » ، « القطاع العام » ، « القطاع الخاص » ، « توسيع قاعدة الإنتاج » ، « التأميم » ، « المصانع » ، « حرية لقمة العيش » ، « تكافؤ الفرص » ، « احتكار القصر » ، « العمل حق » ، « العمل واجب » ، « العمل شرف » .

٨ - القيادة الجماعية ، وجماعية القيادة ، والقوى الشعبية ، «النقد الذاتى» .
«ديمقراطية جميع قوى الشعب الوطنية» ، «الكفاية والعدل» «ديكتاتورية
الطبقة الوحيدة» ، «التغيير الجذرى» ، «القاعدة الشعبية» ، «حتمية الحل
الاشتراكى» ، «الحتمية التاريخية» ، «التطبيقات المذهبية» ، «القرصنة
الاستعمارية» ، «العناصر الانتهازية الطفيلية» .

٩ - وكما يحدث فى كل تغيير سياسى اكتسبت بعض اللفاظ العادية
دلالات اصطلاحية عندما استعملتها التنظيمات السياسية الجديدة
فالمعنى القاموس العادى لكلمتى «تأمل» و«فلاح» ليس هو المعنى الاصطلاحي
الذى تحدد بعد مناقشات طويلة فى جلسات « المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية»
وفى المقالات والندوات . وإن طلب عضوية « الاتحاد الاشتراكى العربى»
الذى تقدم به جماهير الشعب هذه الأيام (أوائل يناير ١٩٦٣) نص فيه
على أن :

«العامل هو :

١ - كل من تتوافر فيه شروط العضوية لل نقابات العمالية .

٢ - الحرفى الذى يعمل بنفسه ولا يستخدم الغير .

ويخرج من هذا المجال :

١ - مديرو الشركات والمؤسسات ومن فى حكمهم .

٢ - المفوضون وأعضاء مجالس إدارات الشركات والمؤسسات عدا

المنتخبين منهم عن العمال والموظفين .

الفلاح هو من تنطبق عليه الشروط الآتية :

- ١ - أن تكون الزراعة هي حرفته ومصدر رزقه .
 - ٢ - أن يكون مقيما إقامة مستقرة في منطقة عمله .
 - ٣ - ألا يزيد ما يحوزه هو وأسرته ، الزوج والزوجة والأولاد القصر من أرض زراعية ملكا وإيجارا على خمسة وعشرين فداناً .
 - ٤ - ألا يكون ممن حددت ملكيتهم طبقا لقوانين الإصلاح الزراعي^١
 - ٥ - ألا يكون من الموظفين والمستخدمين العموميين .
- يتضح من هذا أن تعريف « العامل » و « الفلاح » هذين التعريفين ، لغرض الأول - أي منه إشراك القوى الشعبية العاملة إشراكا فعليا في التنظيمات الشعبية ، وقصع الطريق أمام تسلل الرجعيين والاحتكاريين والانتهازيين حتى لا تكون هي السيطرة على هذه التنظيمات .

فر - ومن عناصر دراسة لغة السياسة ، دراسة اللغة التي تستعملها الدول التحالف أو المتجاورة أو التي تربط بينها روابط أخرى غير التحالف والتجاور أو فضلا عن أحدها أو كليهما ، في حديثها بعضها عن بعض . وفي الإشارة إلى ما بينها من صلات . ومن ذلك اللغة المستعملة في مصر عن السودان ، وفي السودان عن مصر ، واللغة المستعملة في العلاقات بين الدول العربية والإسلامية . فنحن في مصر نشير إلى السودان بـ « جنوب الوادي »

(١) صدرت قوانين « الإصلاح الزراعي » سنة ١٩٥٢ ، وسنة ١٩٦١ .

و « الأخ الشقيق » ، وإلى السودانيين : « إخواننا السودانيون » ، ويصفون مصر في السودان بقولهم « شمال الوادي » . ومن العبارات ذات الأثر في الشعوب العربية والإسلامية « الرابطة الإسلامية » و « الجامعة الإسلامية » و « الجامعة العربية » و « العروبة » و « الأخوة في العروبة » و « القومية العربية » و « الدفاع عن العروبة » و « فلسطين الشهيدة » و « وحدة اللغة » و « وحدة التاريخ » و « التاريخ المشترك » و « المؤتمر الإسلامي » ، وإن لكل من هذه العبارات تاريخه الذي يجب أن يبين .

ح — ومما يدخل في لغة السياسة لغة البيانات السياسية التي تصدرها دولة باسمها ، وتلك التي تصدر بالاشتراك بين دولتين أو أكثر ، ولغة الانذارات الدولية ، ولغة قطع العلاقات الدبلوماسية بين دولتين ، أو لغة إعادة هذه العلاقات ؛ ولغة إنشاء علاقات دبلوماسية بين دولتين لم تكن هذه العلاقات قائمة بينها ، ولغة طلب إبعاد بعض الممثلين الدبلوماسيين ، ولغة الاعتذارات الدولية . . الخ .

ط — كما أن للمعاهدات والاتفاقات الدولية ، حربية وسياسية واقتصادية وثقافية وللصلح ولعدم الاعتداء لغتها الخاصة بها . وهذه اللغة يكثر فيها أمثال « الصداقة » و « المودة » و « الأخوة » و « التحالف » و « المصلحة المشتركة » و « المصلحة المتبادلة » و « تبادل المنافع » و « العدو المشترك » و « تنمية الموارد » و « المساعدة على النهوض »

و « إقرار السلام » و « تدعيم الاقتصاد » و « العدو مشترك » .
 . الخ . وهذه الكلمات والعبارات ، كما هي الصفة الغالبة على معظم
 المصطلحات السياسية تخفى الأفكار الحقيقية ، أو هي تدل عليها بطرق آخر
 طريق المجاز ، ولذلك قيل إنه ربما لا يبرر أى قسم من أقسام الكلام
 الإنسانى قول من يقول إن الوظيفة الأساسية للغة هي « إخفاء » الفكر لا
 « إظهاره » كما يبرره استعمال الكلام في المجال السياسي

ى - وإن مخاطبة الجماهير للتأثير السياسي تنتظر أن تدرس المدرس
 العلمى المفصل . ودور « البلاغة » أو الفن الكلامى في هذا المجال لا يقل
 عن دور الحيل النفسية التى يلجأ إليها الخطباء . إن دراسة لغة « كيكرو »
 (== شيشرون) لا سيما فى خطبه الكتليانية دفاعا عن شرفه ومجده السياسى ،
 وهجومها على أعدائه وأعدائهم ، وفضحا لمؤامرتهم وخبثهم لتظهر كيف
 أمكن للغة فى استعمال خاص لها أن تحدث فى الجمهور تلك التأثيرات التى
 تركتها تلك الخطب فى نفوس مستمعيها . وخطب الحجاج بن يوسف
 الثقفى كانت آلة إرهاب ، ووسيلة ردع وإخماد . وخطب مصطفى كامل
 وسعد زغلول كانت مثيرة للشعور القومى من رقبته ، وموقظة للنهضة
 المصرية ، ودافعة بها قُدُما .

ومن السمات العامة فى مخاطبة الجماهير للتأثير السياسى استعمال الكلمات
 القديمة الغامضة المعنى ، والكلمات ذات الرنين والطنين ، وتلوين الكلام بلون

(١) انظر Margaret Schlauch, op. cit., p. 290 . والقائل بأن وظيفة

الغة هي إخفاء الأفكار هو « تاليران » Talleyrand الفرنسى .

دينى وذكر المقدسات ، والإشارة إلى الفضائل كالشرف والتفضحية والإقدام ، وتمجيد المواقف المشهورة فى تاريخ الأمة ، واقتناص العبارات التى يمكن ثبوتها فى الأذهان ودورانها على الألسنة والأقلام ، واقتباس المشهور المحفوظ من مؤثر الكلام . وقد لوحظ فى استعمال الإنجليزية الحديثة فى هذا المجال أن الخطباء يلجأون إلى ضمائر قديمة مثل ye و thou و thee وإلى نهايات أفعال طال العهد على إهملها (giveh) ، وإلى تركيبات لم تعد مفهومة هذه الأيام مثل ! Woe worth the day ، وإلى عبارات من الكتاب المقدس ، وأنهم يتحدثون عن دفاع عن « أبواب » gates المدينة أو « أسوارها » Walls مع أنه لم يعد شئ من ذلك قائما ، وذلك عندما يقصدون إلى التأثير فى الجمهور أكثر من التأثير فى العقل .

اللغة والحياة الاقتصادية

أ — إن اللغة المستعملة في الجوانب المختلفة والمستويات المختلفة للحياة الاقتصادية تقدم للباحث اللغوي مادة خصبة يؤدي تحليلها إلى نتائج قيمة . وهذه المادة يستقيها من أبسط صور النشاط الاقتصادي - كالبيع والشراء في أبسط صورهما وأضييق حدودهما - إلى أشدها تعقيدا ، وأوسعها نظما . كـ أعمال الشركات الكبرى ، وأعمال المصارف ، وأسواق الأوراق المالية . والنظريات الاقتصادية . وسيلاحظ أن هذه المادة تتفاوت بتفاوت طبقات المتعاملين ، وبالأوضاع الحضارية للمجتمع ، وبسوى ذلك من أمور ، وهذا التفاوت يتبدى في كل جانب من جوانب النشاط الاقتصادي .

١ — طريقة العد وما في اللغة أو اللهجة من أعداد ، لا يزالان عند بعض القبائل في مرحلة بدائية ساذجة ، وهما يبلغان عند أعظم الأمم حضارة درجة عالية من التفصيل والتعقيد ، وهذان يختلفان عند أصحاب اللغة الواحدة حسب حظ المتكلم من الثقافة .

٢ — ولغة « المساومة » تقدم مادة طريفة لدراس اللغة . وسيلاحظ أن المساومة مرتبطة بالبداوة أو بالوان من البداوة ، وأنها تقل أو تكاد تنبلمور في إبعاءات ، أو كلمات شديدة الإيجاز ، أو أنواع من الاستفسار في الأمم المتحضرة التي تحيا حياة معقدة . ويلاحظ أنه في معظم الأحوال تكون « المساومة » عنصرا أساسيا في عملية البيع والشراء . ويكون المشتري والبايع على أهبة للمساومة مقدما ، وأن الإطالة فيها تكون أحيانا نوعا من الدخول في علاقات عن طريق الكلام ، ولونا من التسرية عن النفس ومن

تزجية الوقت . وإن تصنيف لغة المساومة حسب طبقات البائعين ، وطبقات المشترين ، وحسب أمزجة هؤلاء وأولئك وطبائعهم ، وحسب الساعة موضوع البيع والشراء الأمر واجب على الباحث اللغوي .

(٣) و « المزايعة » لها لغتها الخاصة بها ودراستها تظهرنا على وظائف للغة فريدة .

(٤) ودراسة حيل البائعين والمشتريين والوسطاء ، واللوان مغالطتهم وخداعهم وافاتين غشهم كما تبدو في تعبيراتهم اللغوية موضوع له أهمية .

(٥) أما « الإعلان » فله مجال فسيح للباحث اللغوي . ودراسته في صوره المختلفة ، من أبسطها وأشدها سذاجة كنداءات البائعين إلى أكثرها تعقيدا وفنية ، تظهر استعمالات للكلام لتحقيق غايات معينة من أهمها جذب الانتباه وحصره في موضوع بعينه ، والتشويق والترغيب ، للحصول على التملك والاقتناء . إن لغة الإعلان تخاطب فينا غرائز وحواس تختلف باختلاف الموضوع المعلن عنه ، فكلام الإعلان عن مأكول أو مشروب يوجه إلى حواس غير تلك التي يتجه إليها كلام إعلان عن سيارة أو آخر عن دواء ، وهو يشير غريزة غير تلك التي يثيرها هذا أو ذاك . وسلاحظ في لغة الإعلان اختلافها باختلاف الوضع الحضاري للأمة .

١ - فنداءات البائعين الجائلين في الجماعات البدوية والقرية منها يكثر فيها اللجوء إلى المجاز والتشبيه وإلى السجع وغيره من ضروب الترصيع وبرز فيها على الجملة الإطالة في الماداة ، والتغنى والتلذذ بالكلام أما المجتمعات التي قطعت من المدنية شوطا كبيرا وتعقدت أمورها ولم يعد لها من الوقت

ما تضيحه في النداء وفي الاستماع إليه ، وقلّ فيها دور البائعين الجائلين ،
فنداءات هؤلاء فيها تقتصر على أوجز عبارة وأدلتها .

ثم إن نداءات البائعين تختلف باختلاف حظ الجماعة وحظ البائعين أنفسهم
من الذكاء والخبرة : فالجماعات المولعة بالكلام وبـ « الفصاحة » والفكاهة نجد
فيها أمثلة رائعة على المناداة على السلع ، أما تلك المعروفة بالميل إلى الاقتصاد
في الكلام ، وإلى الانطواء على النفس وإلى التزمّت والتوقر ، وإلى الفور
من الصراخ والضجيج فهي قليلة الحظ من الابتكار في هذا المجال .

ومن النداءات المسموعة في الإسكندرية ، والتي يتضح فيها اللجوء
إلى التشبيه والمجاز ، والوصف بالجودة وصفا أشبه بالتغزل ، المناداة على
السّمك البلطي بـ « يا غريم السّلاطة يا بلطى » ، وعلى العنب
بـ « يا بيض اليمام يا عنب » ، وعلى البلح « الأّمهات » الذي يسيل
شهاداً بـ « يا مين يجيب الأناجر ! » وعلى الفول المدمس بـ « اللوز ! »
وبـ « الزغاليل ! » . ومن الملاحظ أن من البائعين من يتفنن في خلق نداءات
جديدة ، ولا يكتفى بترداد المحفوظ المتوارث منها .

ومن النداءات ما يكتفى بذكر اسم السلعة ومن ذلك في مصر (حليب) ،
أو بذكرها مسندة إلى البلد الذي ينتجه مثل (أسيوطى يا بلح) ،
(فيثومى يا عنب) ، أو كذلك مضافاً إليه وصفها بالجودة مثل (الكناكيت
الفيثومى عال) . وقد لاحظت أن أكثر المنادين على السمك في مدينة
بنغازى بليبيا يكتفون بذكر الاسم مكرراً سريعاً (حوت حوت حوت !
بُورى بُورى !) .

ومن أول ما يلاحظ في لغة الإعلان المكتوب أنه يكثر فيه استعمال الحروف الكتابية وعلامات النقط والترقيم استعمالاً مخالفاً للمألوف في الكتابة العادية . فالكلمة أو العبارة قد تكتب - في العربية مثلاً - مقطعة الحروف حرفاً حرفاً لا موصولة الحروف ، وقد تكتب بصورة تختلف عن صورتها العادية إما ملاءمة للعادة التي تكتب بها خشباً أو حجراً أو معدناً أو غير ذلك ، وإما مراعاة للموضوع المعلن عنه ، أو لهذين معا . أما علامات النقط والترقيم فقد اكتسبت في لغة الإعلان دلالات جديدة : فقد يبدأ الإعلان بعلامة استفهام ليس قبلها كلام ، أو بعلامة تعجب ، أو بهما معا ، أو بمجموعة من النقط الأفقية ، أو بمجموعة من النقط الأفقية تعقبها علامة استفهام أو علامة تعجب . ومن الملاحظ أن علامات الاستفهام والتعجب كثيراً ما تضاعف متوالية في الإعلانات المكتوبة .

ولاشك في أن الإعلان - أياً كانت صورته - يراعى فيه مفاصلته للموضوع المعلن عنه ، والأمثلة كثيرة على أن عدم التوفيق في اختيار الاسم أو الإعلان يؤدي إلى الفشل واللكساد ، بينما يؤدي التوفيق فيه إلى الشهرة والاقبال .

(٦) إن دراسة اللغة المستعملة في أوجه النشاط الاقتصادي بحاجة كذلك إلى دراسة ألوان من الكلمات والتعبيرات تمتاز بالجفاف بالقياس إلى ما قدمنا الكلام عنه . فلا بد من حصر جميع المصطلحات الخاصة بكل وجه من وجوه هذا النشاط وتقومها التقرير الصحيح ، ويدخل في ذلك مصطلحات التعاقد والاستئجار والشحن والتأمين ، ومصطلحات المراسلات

ومصطلحات التسجيل في الدفاتر ، والمصطلحات المستعملة في الوثائق .
وفي الشهادات الخاصة بجودة السلع وسلامتها ووزنها ، ومصطلحات الشكاوى
حال الخلاف . وما من شك في أن دراسة مصطلحات النظريات الاقتصادية
نفسها من الزم الأمور وأهمها .

ب - ولغة كل من الحياتين الزراعية والصناعية

تمثل ألوانا من العلاقات بين اللغة والمجتمع بعضها يتمش في استعمال لغة
في غير هذين المجالين ، وبعضها يتضح فيها اجلي مما يتضح في سواهما .
(١) من المعروف أن لكل من هذين الميدانين ، بل لكل فرع من فروعها
مفرداته الخاصة ، وأن من هذه المفردات ما لا يستعمله ولا يعرفه
إلا أصحاب هذين النشاطين وبعض من يقدر له الاتصال بهم في شؤني .
وإن كانت هذه الظاهرة تحتاج إلى من يدرسها دراسة مفصلة مستوعبة .
ولكن الأمر أبعد من هذا وأعرق ؛ فالغالب أن الكلام الذي يستعمله كل من
أصحاب هذين النشاطين - بما فيه من تركيبات خاصة واستعارات وتشبيهات
وأمثال ، بل بما فيه من طريقة نطق الكلمات ولو كانت من مفردات اللغة
المشتركة الشائعة - دال على عمله وعلى طبقته الاجتماعية ، وإن اختلفت
الدلالة نسبة باختلاف الأفراد والظروف والعصور .

(٢) ومن شواهد اختلاف لغة أصحاب الحرفة الواحدة باختلاف العصور
أنه عندما تكون الحرف والصناعات وقفا على أمر معينة يتوارثونها فإن
لهجاتهم تكون أشد تميزا لهم منها عندما يسمح المجتمع لمن يشاء بالاستغناء
بالحرفة أو الصناعة التي يختارها . وهذا إذا قارنا بين كلام أصحاب
حرفة معينة في القرن التاسع عشر في مصر بكلام المشتغلين بهذه الحرفة نفس
في مصر اليوم فانا سنجد فروقا مردها إلى هذا السبب نفسه فضلا عن تلك
الراجعة إلى التطور التاريخي العام .

(٣) - والأمثال التي يستعملها الزراع والصناع ، بل كل فئة من فئات الزراع ومن فئات الصناع ، من أطراف الموضوعات الجديرة بالدراسة . ومن هذه الأمثال ما يستفيض فيصبح جزءاً^(١) من « اللغة العامة » تستعملها الجماعة على اختلاف طبقاتها ، ومنه ما يظل محصوراً في بيئته لشدة لصوقه بها أو لغير ذلك من الأسباب . وهذه الأمثال ، كسواها ، تنسم بميسم المحافظة والتوارث ، إلا أنه مما لا شك فيه أن التغيرات الكبيرة التي نصيب هاتين الطبقتين ، كالتوسع في استعمال الآلات في الزراعة ، وكالاتقلاب الصناعي ، لها آثارها في استحداث أمثال جديدة وفي لهجتها الخاصة على وجه العموم . ومن واجب الباحث اللغوي أن يربط كلا بأصله وسببه .

(٤) ومن الملاحظ أن لكل من الزراع والصناع ، كالتجار ، رموزهم الكلامية الخاصة بهم التي ينحصر فهم مدلولاتها فيهم وفيمن يتصل بهم ، كما أن لهم تعبيرات كلامية تستهدف أنهم على غيرهم من سائر الطبقات الاجتماعية . وهذه الرموز والتعابير قد تكون من وضع أفراد منهم ، وقد تكون مأخوذة من لغات أجنبية ، وقد تكون استعمالاً خاصاً لكلمات وتعبيرات من كلمات اللغة العامة وتعابيراتها .

(٥) - ومن أهم ما يجدر به دارسي اللغة الالتفات إليه ، والعناية به ، أن الكلام في كثير من وجوه النشاط الزراعي والصناعي يكون جزءاً من العمل :

(١) أورد الأستاذ علي عبد الواحد وافي في هامش ص ١٥١ من كتابه « اللغة والمجتمع » (الطبعة الثانية مريدة ومنقحة نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٥١) بعض مقدرات خاصة بالصيدان والبحارة المصريين نقل بعضها من مقال الأستاذ إبراهيم محمد الفحام وسجل بعضها بنفسه من لغة بحارة رشيد .

فحديث الفلاح إلى بهيمته وآلته ، وغناؤه عند الحرث والرى والخصد ،
وكلام الحداد عند الطرق والنفخ في الكور ، وغناء « الفعلة » الذي يقوده
رئيس لهم ، كل ذلك وأمثاله جزء من العمل معين على إتمامه . ومن الواجب
أن يجمع كل صنف من صنوف هذا النشاط اللغوى - في كل لغة - وأن
يفسر موصولاً بالظروف التي يستعمل فيها ، وبالوظيفة التي يؤديها .

(٦) والصناعات والحرف من أهم أبواب الاحتفاظ بالكلم القديم ، كما
أنها من أهم أبواب دخول الكلام الحديث أجنبياً كان أو أصيلاً . فمن الملاحظ
أن الجماعة التي تغلب على لغتها لغة أخرى تحتفظ ، بعد سيادة اللغة الطارئة ،
بكثير من مفردات اللغة الأولى ، ومنها ما يتعلق بالمعروف والصناعة
والزراعة ، وخاصة إذا كان أصحاب اللغة المتغلبة أدنى شأنًا في هذه الأمور .
فالعامية المصرية قد احتفظت بكثير من الكلمات القبطية المتعلقة بالزراعة
(كأسماء الشهور ، والمواسم الزراعية ، وأسماء بعض الآلات الزراعية)
وبالصناعة ، والعامية العراقية استبقت كثيراً من الكلمات البابلية والآشورية
والفارسية المتعلقة بهذه الموضوعات .

(٧) والصناعات وفنون الزراعة التي تأخذها جماعة عن أخرى تنتقل
معيها ، في الأغلب ، أسماءها الموضوعية لها في لغة المأخوذ عنهم . كما أنها
تكون مثيراً إلى وضع كلمات جديدة . وهكذا فالانقلاب الصناعي الحديث
الذي كانت أوروبا مهداً له ، وتأثرت به معظم أمم العالم ، نقل معه إلى
كثير من اللغات كلمات من لغات أوروبية مختلفة . وإذا نظرنا إلى العربية
في مصر ، عاميها وفصيحتها ، وجدنا فيها كثيراً من الكلمات الفرنسية

والإنجليزية والإيطالية والألمانية واليونانية ، وغيرها ، المتصلة بالهندسة
والميكانيكا والآلات الصناعية الحديثة المأخوذة عن الغرب (مثل : ديزل -
آتشك - دريكسيون - سيجن - جير - يستن إلخ) . كما أن هذا التأثير
بالتطور الصناعي الحديث دعا إلى تغيير مدلولات كثير من الكلمات العربية ،
وإلى اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية خالصة . ولما اتخذت مصر
الزى الأوروبي الحديث سرت في لغة الخياطين المصريين كلمات غربية
أكثرها من الإيطالية (مثل : مَزُور - فودرة - فرساليا - سكوندو
بروفة إلخ) .

اللغة والحياة الدينية

(١) الدين مجال تستعمل فيه اللغة بما لا تستعمل في سواه فالدين وثنيا كان أو سماليا ، موحدا أو معددا ، قديما أو حديثا له بطبيعته أسلوبه المتفرد المستقل . فالعلاقة التي يقيمها الدين بين الفرد وبين قوة عليا في يدها مصائر وأقدار ، ويجب لها القربى والخشوع : ولها آياتها وأحكامها ، وأقوالها وأعمالها ، وعقائرها ونواحيها ، ويضفي الإيمان بها على النفس سكونا وصقا ، ويهبها قوة ومضاء ، ويدفعها في حالات إلى التصحيفة بالنفس والمال والولد راضية مستبشرة ، هذه العلاقة لها لغتها ، لا في كلام المعبود وحده ، بل في كل كلام متعلق بأي شأن من شئونها .

والكلام « المقدس » عند كل جماعة نموذج رائع من نماذج البيان ، وهو بالقياس إلى الروائع الأدبية المأثورة عنها من أروعها أو هو أروعها على الإطلاق ، ومنه ما يعجز عن السمو إلى مثله أي كلام .

(٢) ومن أهم ما يلاحظ على لغة الدين استعمالها لكثير من الكلام الغامض الخفى ، ومنه كلمات وعبارات غير مستعملة في اللغة وذلك كاستعمال الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية : يس - طسم - الم - الر - كيعص الخ مما لا يعرف معناه على الحقيقة ، وأوله المفسرون والدارسون قديما وحديثا تأويلات كثيرة .

(٣) ومن ذلك استعمال كلمات قديمة ، واستعمال كلمات من لغات أجنبية وذلك كما تستعمل العربية في لغة السحر والكهانة والتنجيم كلمات من أصول سريانية . والمطلع على الشعر الدينى لامية بن ابى الصلت الثقفى الجاهلى

يجد عشرات من المفردات لا يجدها عند سواه من شعراء العصر الذين لم يقولوا
فيما قال .

وقد أتيت لي دراسة القريب في شعر أمية بن أبي الصلت من حيث
تأثيره في موسيقى الشعر في رسالتي التي حصلت بها على درجة الماجستير ،
(وموضوعها : الصناعة الشعرية في العصر الجاهلي من حيث الموسيقى وبنية
القصيدة) . ولما كانت هذه الرسالة لم تنشر بعد فأنا أنقل عنها فيما يلي
ما كتبت في هذا الموضوع سنة ١٩١٧ ؛ قلت .

« الممول في الإيقاع الشعري على أصوات الكلمات وطريقة نظمها ؛
واللف الآذان للكلمات يفقدها كثيراً من قيمها الصوتية ، ومن هنا كان
الشاعر في حاجة إلى منبع متجدد يستقى منه أصواتاً خلاصة ، وإنه يقع على
هذا المنبع في غريب المفردات . وقد تكون الغرابة نتيجة الجدة ، أو الندرة ،
أو أن الكلمة أجنبية ، أو محلية ، أو صعبة ، أو مركبة ، أو غير مألوفة
الاشتقاق . وخير مثال في الشعر الجاهلي لاصطناع الغريب هو أمية بن أبي
الصلت الثقفي .

أمية شاعر حكيم كان عالماً بالحنيفية ، واتصل بأهل الكتاب من
اليهود والنصارى ، وقرأ الكتب الدينية القديمة ، فكره الأوثان ،
وأصبح موحداً يذكر الآخرة والحساب والنواب والعقاب . وكان يطمح
أن يكون هو ذلك النبي المنتظر فلما لم يكنه اغتاض وتأسف واشتد حسده
للرسول وناصبه العدا ، ولذا قال فيه الرسول : « أن كاد أمية يسلم »
وقال : « آمن شعره وكفر قلبه » .

إن شعر أمية الدين صادر عن ثقافة حنينية - ودية نصرانية ، وهي ليست ثقافة سطحية ، فنه - كما تقول الروايات - كان يقرأ الكتب القديمة ويتعمقها ، فكان يعلم من الموضوعات الدينية وعنما ما لا يعرفه غيره من شعراء عصره . كان أمية كثير الإيراد للقصص الدينية ، وقد يكن بعض هذا القصص منتشراً بين العرب كما يتضح مما قاله ابن قتيبة في الشعر والشعراء : وأتى بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب ، وكان يأخذها من الكتب ، منها قوله : (وخان أمانة الديك الغراب) . وزعم أن لديك كان قديماً للغراب فرهنه على نحر وغدر به ، وتركه عند الخمار : يجعله الخمر حارساً . وقوله في الشمس :

ليست بطالعة لهم في رؤسها إلا معذبة ولا تجدد
وقوله :

غم وظلما وفضل سحابة أيام كفن واستراد انهدهد
يبغى القرار لأمه ليحجتها فبنا عليه (عليها) في قفاه (قفا) بمهد
فيزال يدليج ما مضى بجنارة منها وما اخعلف الجديد المستند

وراضح أنه لا غرابة في ألفاظ (وخان أمانة الديك الغراب) وسائر الشواهد ولكن القصص هو الغريب .

ولما كان لكل جانب من جوانب الثقافة ألفاظ موقوفة عليه ،

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٧٦ - ١٧٧ .

تصحیح الأستاذ مصطفى السقا ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعاهد مصر ١٩٣٢ م

وعبارات خاصة به ، فانا نجد في شعر أمية الدينى ألفاظا غير مألوفة عند غيره من الشعراء ، كان يحس بغرابتها الأقدمون ، وتناقلوا أمرها فيما بينهم .

وربما كان بعض هذه الألفاظ غير عربى الأصل جاء عن الحبشية والسرانية والعبرية .

وتأثير أمية عن هذه المردق يشبه تأثير الساحر والكاهن ، فكلاهما يورد كلمات وصيغا غير مألوفة يخطف بها السمع واللب ، فيخضع النفس لسيطرته ، ويتركها مبهورة معلقة ، فيسهل عليه توجيهها كيف شاء ، وقد يقتضى الأمر اختراع كلمات وتصريفات جديدة للوصول عن طريق موسيقاها إلى السيطرة على النفوس .

وإذا كان الكثير من المنسوب إلى أمية غير صحيح النسبة إليه ، إلا أن القدماء أنفسهم لاحظوا غرابة قاموسه الشعرى ، فايرادنا لشواهد من شعره تبيننا لهذه الغرابة لا يجوز أن يرد استنادا إلى كثرة المنحول من شعره ، فالذى يهمنا أن الإغراب اللغوى عند أمية قائم مقرر . ولذا أسقطه علماء اللغة من الاستشهاد والاحتجاج بلغته على الكتاب . سواء كان ما نستشهد به من شعره صحيحا أو منحولا .

ولا يقتصر الأمر عند أمية على استعمال ألفاظ غريبة عن العربية ، بل إن بعض الألفاظ العربية التى يستعملها ليست شائعة الاستعمال عند غيره من الجاهليين الذين وصلتنا أشعارهم . قال ابن قتيبة ١ :

.. وأنى بالفاظ كثيرة لا تعرفها العرب وكان يأخذها من الكتب
منها قوله ومنها قوله :-

قَمَرٌ وسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُغَمَدُ

وزعم أهل الكتاب أن «الساهور» غلاف القمر يدخل فيه إذا انكسف
وكان يسمى السموات «صاقورة» و «حاقورة» ، ويقول «وأبدت
الشغور» يريد الشجر . وعلمناؤنا لا يرون شعره حجة على الكتاب .

ونحن نورد فيما يلي نبأ بالغريب في شعر أمية ١ مرتبا على حروف
المعجم :

الأرخ — الأطوم (ص ٥٥) — أمط (ص ٤٦) — بداح
(ص ٢٦) — بديد (ص ٢٦) — البيقورا (ص ٣٦) تفثا (ص ٦٢)
متلمد (ص ٢٤) الثأط (ص ١٨) و «ثأط» (ص ٢٦) — الذلل
(ص ٤٧) — الجلاحة (ص ٢١) — حاقورة (ص ٢٤) — خرمد
(ص ٢٦) — حزجل (ص ٤٦) — الحش (ص ٥٧) — يخرمس (ص ٥٥)
مدسورا (ص ٣٦) — دسفانا (ص ٦٢) — دقعة (ص ٤٠) — «ذقطا»
و «ذقطانا» (ص ٦٣) — رح رجارح (ص ٢١) — رذوم (ص ٤٥)
ساهور (ص ٢٥) — السراطمة (ص ٢١) — السرافيل (ص ٢٥)
سفورا (ص ٣٦) — السلاطح (ص ٢١) — السليطط (ص ٣٣) —
سنة (ص ٣٥) — شحيطا (ص ٥٠) — الشيزي (ص ٢٧) —
صثبانا (ص ٦٢) — صاقورة (ص ٢٤) — صلقنا (ص ٤٧) الصوافي
(ص ٢٥) — طخرورا (ص ٣٦) — الطوط (ص ٢٦) — عثكال
(ص ٥٠) — أعلاط (ص ١٩) — عناص (ص ٢٤) — الفراريس

(١) ديوان أمية بن أبي العتات جمع الأستاذ (بشير بيوت) ، بيروت ، المطبعة
الوطنية ١٩٤٣ .

(ص ٤٨) - فسيطا (ص ٣٦) - فوفة (ص ٣٦) - القومان (ص ٤٨) - الفرق (ص ١٩) - الكتاب (ص ١٨) - تكرد (ص ٢٤) - نوخها (ص ٢٣) ، ،^١ (٤) إن دراسة كلام المعبود موضوع غاية في الأهمية فما فيه من الأمر المستعلي ، ومن النهي المقتدر ، ومن الإيجاز المقصود إثباتا للقوة والاستعلاء ، وما فيه من أساليب الترغيب والترهيب ، والحجاج والتبيين ، وما سوى ذلك ، كل أولئك يتخذ صورة خاصة تشعر السامع (أو القارئ) أنه في مجال الدين لا في سواه .

() وليس ثمة لغة دينية لا تبرع في استغلال الامكانيات الصوتية للغة التي توضع بها . كتتابع الأصوات ، والسجع ، والفواصل ، وتنظيم الكلام بحيث تحدث الأثر المطلوب إذ كان التأثير الصوتي من أهم المداخل إلى النفس البشرية ، والأصل في الكثير من الكلام الديني أن يرثىل ويُنشد موقعا منغما ، مصحوبا بموسيقى أو غير مصحوب ، ومصحوبا بموسيقى ورقص عند بعض الجماعات . وكثيرا ما ينتج عن الرغبة في تحقيق أثر موسيقى معين أن تُغيّر الكلمات عن صورتها المألوفة .

١ - ومن ذلك ورود (محضرون) و (ارجعون) بدلا من (محضروني) و (ارجعوني) في قوله تعالى : «وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون . حتى إذا جاء أحدهم الموتُ قال رب ارجعني .» (المؤمنون آيات ٩٢ - ٩٩) . ومنه ورود (أطيعون) بدلا من (أطيعوني) في قوله تعالى حكاية لقول نوح لقومه : (قال يا قوم إني لكم نذير مبين . أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) (نوح ٢ - ٣) .

(١) عن : محمود السمرات : الصناعة الشعرية في العصر الجاهلي من حيث الموسيقى وبنية القصيدة ص ١٢٨ - ٣٣ (نسخة على الآلة الكاتبة محفوظة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية) . وقد اكتفينا هنا بذكر الكلمات النورية ولكننا في الأصل أوردنا بعد كل كلمة النمى الشعرى الذي وردت فيه ، وأشرنا إلى موضعها من ديوان أمية في الهامش لا بعد الكلمة مباشرة) .

٤ - ودارس شعر عمر بن الفارض الصوفي (٥٧٦ - ٦٣٢ هـ) يجد من الشاعر حرصا على إحداث آثار موسيقية غير تلك التي يحققها الوزن والغافية . وقد يبالغ ابن الفارض في ذلك أحيانا إلى درجة الإملال والإتقال ، وقد تكون صناعته الموسيقية ، في جملتها . صناعة لفظية سطحية صارخة ، فهو يكثر من الجناس ومن الكلمات المتوازنة وليس بينها جناس ومن تقطيع البيت أقساما متوازنة ، كما يلجأ إلى التصريح في أواسط القصيدة في بيت أو في بيتين متتاليين أو في مجموعة متتابعة من الأبيات ، وإلى التكرار وإلى غير هذا من وسائل اللعب بالكلمات . ولكن له أبياتا رقت صناعته الموسيقية ودقت فحس إيقاعها في الأذن ، ومن ذلك قوله :

زِدْنِي بِهَرَطِ الْحَبِّ فِيكَ تَحِيْرًا

وَارْحَمْ حَشْيَ بِلَظِي هَوَاكَ تَسْعَرًا

وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أُرَاكَ حَقِيقَةً

فَاسْمَعْ ، وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي : « لَنْ تَرَى »

يَا قَلْبُ أَنْتَ وَبَدَنِي فِي حَبِيْبٍ

صَبْرًا ، فَعَازِرْ أَنْ تَضِيقَ وَتَضْجِرَا

إِنَّ الْغَرَامَ هُوَ الْحَيَاةُ قَمْتُ بِهِ

صَبًّا ، فَحَقُّكَ أَنْ تَمُوتَ وَتُعْذَرََا

قُلْ لِلَّذِينَ تَقْدَمُوا قَبْلِي وَمَنْ
بَعْدِي ، وَمَنْ أَضْحَى لِأَشْجَانِي بَرَى :

«عنى خذوا ، وبنى اقتدوا ، ولي اسمعوا ،

وتحدثوا بصيايتى بين الورى »

واقعد خلوت مع الحبيب وبيننا
سِرٌّ أرقُّ من النسيم إذا تبرى

وأباح لمرقى نظــــرةً أملتُها

فقدوتُ معروفًا ، وكنتُ منكرا

فدهشتُ بين جماله وجلاله

وغداً لسان الحال عني "مخبراً

قادرٌ لحاظك فى محاسن وجهه

تلقى جميع الحسن فيه مصوراً

لو أن كل الحسن يكمل صورة

ورآه ، كان مهلاً ومكبراً .

ومن ذلك قوله ٢ :

أنتم فُروخي وتغلي أنتم نحتي وشغلي

يا قبلي في صلاتي إذا وقفت أصلي

جمالكم نصب عيني إليه وجهت كُلي

وسركم في ضميري والقلب طور التجلي

آنت في الحى نارا ليلاً فبشرت أهلي

قلت امكثوا فلعلي أجد هداى لى

دنوت منها فكانت نارا المكلّم قبلي

نوديت منها كفاحاً ردوا لى وصلى

صارت جبانى ذكرًا من هية المتجلى

(٢) ديوان ابن الفارض : نشر وطبع البابى الحلبي بمرء الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣

ص ٦١ — ٦٢ .

(٢) ديوان ابن الفارض ص ٦٥ — ٦٦ .

ولاحَ سِرٌّ خَفِيٌّ يَذُرُهُ مَنْ كَانَ مِثْلِي
وعِرتُ مُوسَى زَمَانِي مَذْ صَارَ بَعْضِي كُفْلِي
فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي رَأَيْتُ حَيَاتِي قَتْلِي
أَنَا الْفَقِيرُ الْمُنَى رِقْدُوا لِحَالِي وَذُلِّي

إن دراسة موسيقى الكلام الديني في كل موضوع من موضوعاته
المختلفة ، وفي كل لغة على حدة ، موضوع خصب قيم .

ومن قول ابن الفارض في تأييده الكبرى المسماة بنظم السلوك :

سَقَيْتَنِي حُمَيَّا الْحَبِّ رَاحَةً مُقَلَّتِي

وَكَأْسِي مُخَيَّا مَنْ عَنِ الْحُسْنِ جَلَّتْ

فَأَوْهَمْتُ صَحْبِي أَنَّ شُرْبَ شَرَابِهِمْ

بِهِ سُرٌّ سِرِّي فِي انْتِشَائِي بِنَظَرِهِ

وَبِالْحَدَقِ اسْتَعْنَيْتُ عَنْ قَدْحِي وَمِنْ

شِمَائِلِهَا لَا مِنْ تَشْمُولِي نَشْوَئِي

فَفِي حَاوِي سُكْرِي حَانَ سُكْرِي لَفْتِيهِ

بِهِمْ نَمَّ لِي كَتَمُ الْهَوَى مَعَ شَهْرِي

وفيها قوله ٢ :

ولو أن ما بي بالخيال وكان طو
 رُسِينَا بِهَا قَبْلَ التَّجَلِّي لَدُكَّتْ
 هَوَىَّ عِبْرَةٌ نَمَتْ بِهِ وَجَهْوَى نَمَتْ
 بِهِ حُرْقٌ أَدَوَاؤُهَا نِي أُودَتْ
 فطوفانُ نوحٍ عند نوحى كَأَدَمَى
 وَإِيقَادُ نيرانِ الخليل كلوعتى
 ولولا زفرى أغرقتنى أدمى
 ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى
 وحزنى ما يعقوبُ بثُّ أقدنه
 وكلُّ بلى أئوبَ بعضُ بليتى
 وآخرُ ملاقى الألى عشقوا إلى الرُ
 ردى بعضُ ملاقيتُ أولَ محتى
 فلو سمعتُ أذنُ الدليل تأوّهى
 لآلام أَسْقَامِ بجسدى أَضَرَّتْ

لَأَذْكَرَهُ كَرَبِي أَدَى عَيْشِ أَرْمَةِ
بِمَنْقَطِي رَكْبٍ إِذَا الْعَيْدُ زُمْتُ
ومن قوله في تائيته ١ :

تَجَلَّتْ فِي تَجَلِّيْهَا الْوُجُودَ لَنَاظِرِي
فَفِي كُلِّ مَرْتِي أَرَاهَا بِرُؤْيَا
وَأَشْهَدُ غَيْبِي إِذْ بَدَتْ قُوجِدَتِي
هَنَّاكَ إِيَّاهَا بِجَلْوَةِ خُلُونِي
وَطَاحَ وَجُودِي فِي شُهُودِي وَبُنْتُ عَنْ
وَجُودِ شُهُودِي مَلْحِيًّا غَيْرَ مُشَبَّتِ
وَعَانَقْتُ مَا شَاهَدْتُ فِي مَحْوِ شَاهِدِي
بِمَشْهَدِهِ لِلصَّحْوِ مِنْ بَعْدِ تَكْرُنِي
فَفِي الصَّحْوِ بَعْدَ الْمَحْوِ لَمْ أَلْكَ غَيْرَهَا
وَذَاتِي بِذَاتِي إِذْ تَحَلَّتْ تَجَلَّتْ
فَوَصَفِي إِذْ لَمْ تَدْعُ بَائِنِينَ وَصَفَهَا
وَهَيْئَتُهَا إِذْ وَاحِدًا نَحْنُ هَيْئَتِي

فإن دُعِيْتُ كُنْتُ الحبيب وإن أُكِنَّ
 منادى أجاب مَنْ دعاني وثبت
 وإن نطقت كُنْتُ المناجي ، كذاك إن
 قصصت حديثاً إنما هي قُصَّت
 فمجد رَفَعْتُ تاءُ المخاطب بينا
 وفي رفعا عن فرقة الفرق رفعتي
 وانظر من تأييده الأبيات التي تبدأ بقوله ١ :
 مواطن أفرأحي ، ومررتي مآري
 وأطوار أوطاري ، وما من خيفتي
 إلى قوله :
 فقد جمعت أحنائي كل صباية
 بها وجوى يُنبئك عن كل صبيوة
 وما يمثل صنعة ابن الفارض الموسيقية قوله ٢ :

(١) الديوان ج ١١٢ .

(٢) الديون ص ٣٠ .

أَدَّادُ عَن عَذْبِ الْوَرُودِ بِأَرْضِهِ
 وَأُحَادُ عَنْهُ وَفِي أَفْئَادِ بَقَائِي
 وَرَبُوعُ أَرَبِي ، أَجْمَلُ وَرَيْمُهُ
 طَرَبِي ، وَصَارْفُ أُرْمَةِ اللَّائِي
 وَجِبَالُهُ لِي مَرْبِعُ ، وَرِمَالُهُ
 لِي مَرْتَعُ ، وَظِلَالُهُ أَفْيَائِي
 وَتَرَابُهُ نِدَى الدَّكْئِ ، وَمَاؤُهُ
 وَزْدِي الرُّؤْيَى ، وَفِي تَرَاهُ نَرَائِي
 وَشِمَائُهُ لِي جَنَّةٌ ، وَقَبَائُهُ
 لِي جَنَّةٌ ، وَعَلَى صَفَاءِ صَفَائِي
 حَيَّا الْحَيَّا تِلْكَ الْمَنَازِلَ وَالرَّبِي
 وَسَقَى الْوَلِيَّ مَوَاطِنَ الْآلَاءِ

(٣٦) ولغة الدينية أساليبها الخاصة في اثر رمز والمجاز ، وكثير من تصويرها
 لو أخذ على ظاهره القريب لأوقع في الخلط ، أو لم يحدث الأثر المقصود ؛
 وهذا باب من أخطر الأبواب التي 'يمتنع بها المفسرون والفقهاء واعتماداً
 على ما في لغة الدين من الرمز والمجاز توسع « الباطنية » وبعض الصوفية في

تفسير آيات من القرآن الكريم بحيث تلائم مذاهب خاصة ، ومن أوضح الأمثلة على هذا تفسير يحيى الدين بن عربي لآيات قرآنية تفسيراً يؤيد مذهبه في « وحدة الوجود » .

(٧) ولما تنصف به لغة الدين على وجه العموم أنه « محافظة موعلة في المحافظة وأن ما يطرأ عليها من تعديلات شيء جدي طفيف ، وقد يغدو إليها من وقت إلى آخر شيء قابل نادر ، ولا تعني بذلك « كلام » عبود فهو بطبيعته مقدس ، تعميده الجماعة أو تحرون أن تحميه عن كل تغيير ، وإنما تعني الكلام الديني المستعمل في سائر المجالات الدينية فطبيعة « التقديس » تغلب عليه ولو كان من كلام البشر الذي لا يفترض المدة بقاءه على صورة لفظية واحدة .

١ - ومن تقديس الكلام الديني أن الشعوب الإسلامية التي لا تتكلم العربية كالإيرانيين والهنود والأندونيسيين والأفارقة يرددون بعض عبارات دينية باللغة العربية .

٢ - وصفة التقديس وما تستتبعه من محافظة هي من أهم العوامل التي دعت للكنيسة القبطية في مصر إلى أن تحتفظ حتى اليوم باللغة القبطية في كثير من طقوسها ومراسمها وعباداتها واحتفالاتها (كمراسم الزواج والمات ... الخ) مع جهل أكثر الأقباط الحاليين باللغة القبطية ، بل مع جهل بعض من يرددون هذه العبارات من رجال الدين بها .

٣ - ومن صفة التقديس أن المساس بالكلام الديني مساساً غير لائق في عرف الجماعة يؤدي بفاعله إلى غضب ومقت ومصائب وأضرار ، وبعض

ألوان هذا المساس قد يتغاضى عنه ، وينظر إليه على أنه شارة على طبقة
وضيعة من الجماعة ، كلعنة الدين الجارية على ألسنة كثير من عامة المصريين .
وربما كانت هذه العبارة في أصلها بقية من العبارات المستعملة أيام تعدد
الأديان في الجماعة ، وربما كان الأصل فيها سب أصحاب دين لأصحاب دين
آخر . ومن ذلك عبارة « يا ابن الذين آمنوا » وهي عبارة سب في العامية
المصرية ترجح ألفاظها أن الأصل فيها سب غير المسلمين للمسلمين ، لما كانت
« الذين آمنوا » عبارة كثيرة التردد في القرآن والحديث ، وربما يؤدي هذا
إلى فرض آخر هو أنها نشأت على ألسنة الأقباط المصريين سباً لمن ترك
دينه منهم إلى الإسلام بعد الفتح العربي لمصر . ولا شك في أن هذه العبارة
وأمثالها يجب تعقب استعمالها تاريخياً للوصول إلى أقدم استعمال لها
والظروف المحيطة به حتى تفسر التفسير العلمي الصحيح . وهذه العبارة
لا تختص الآن بسب أصحاب دين لأصحاب آخر بل يسب بها المسلم أخاه
المسلم فقد تسمع في مصر مسلماً يقول لآخر : « اسكُتْ يا ابن الذين
آمنوا » !! .

(٨) ومن جوانب استعمال الكلام في الشؤون الدينية في الإسلام :

١ - لغة الأذان ، والأدعية ، والصلوات ، وخطب الجمعة ، والأوراد ، والاذكار .

٢ - واللغة المستعملة في الحج في مراحلها المختلفة ، كلفة السعى بين الصفا
والمروة ولغة الطواف ولغة الرجم ، ولغة الدعاء .

٣ - ومن ذلك اللغة المتصلة بالموت كالصلاة على الميت : والكلام الذي

يقال أثناء تشييع الجناز ، وما يقال عند دفن الميت ، وبعده ، وفي التعزية وفي التذكر عليها . ومن العبارات المستعملة في مصر في مجاز التعزية :

« البقية في حياتك » ، « البقية في دين محمد » ، البركة ميت .. تشكر الله سعيكم » ، « أعظم الله أجركم » .

٤ - واللغة المستعملة في عقد القران ، كتلاوة القرآن وكلمة « الأذون » ، وصيغة العقد ، وكلام المهنيين يبرز فيها طابع المحافظة ، واخرى على ترديد عبارات بعينها لتأدية وظائف خاصة .

٥ - وفي عبارات التهئية في كثير من اللغات لثون ديني ومن ذلك في مصر : (مبروك - مبارك - الله يبارك فيك .. الخ) .

إن دراسة اللغة المستعملة في كل حال من هذه الأحوال كفيلة بأن تكشف عن كثير من الحقائق اللغوية .

(٩) ومن الملاحظ أن كثيرا من العبارات الدينية يجد سبيله الى السنة الجماعة في أماديهم العادية اليومية . وقد لا يتخلص من بعض المنحدون منهم ١ - وأشهر هذه العبارة يوجد في « انقسم » فنحن نسمع في مصر بالعامية : **والله** - **والله** - **والله العظيم** - **وربنا** - **والله خلقك** - **والنبي** - **وحياة النبي** - **وشباك النبي** - **والمنصطفى** - **والمصحف** - **والمصحف الشريف** - **والقرآن** - **والقرآن الكريم** - **والكعبة الشريفة** - **والسيدة زينب** - **وسيدتنا الحسين** - **والأمرسى** (من أبي العباس المرسى) - **وسيدى ياقوت العرشى** (وهذان الأخيران كثيرا الاستعمال في الإسكندرية) . ونسمع على السنة الأقباط : **والنعدرا** - **والصليب** - **والمسيح** - **وستنبا مريم** ،

ومن الملاحظ أنهم يتحاشون القطع بـ هذه الأقسام المسيحية أمام المسلمين
ويستعملون في حضرتهم « والله - والله العظيم الخ » .

والقسم بعبارات دينية خاصة هو الذي تستعمل به شهادة الشاهد في التقاضي
ويستعمل بين جماعات كثيرة كوسيلة لفض المنازعات .

ومن الملاحظ أن القسم - والقسم بأساليب خاصة - يكثر على السنة
النساء . وعلى الباحث أن يفرق بين ما يختص به الرجال وما يختص به
النساء ، وما يشترك فيه الاثنان على حد سواء أو على خلاف في الدرجة .

ومن العبارات الشائعة على السنة المسلمين المتكلمين بالعربية « لا حول
ولا قوة إلا بالله » ، و « أستغفر الله » و « أهوذ بالله » و « اتكل على الله »

٢ - ولغة السائلين جلها عبارات دينية وأشعار دينية ومن عباراتهم
المشهورة في السؤال : الله - أعطنا مما أعطاك الله - يارب يا كريم -
يا كريم - حسنة لله - شئ الله يا سيدي - شئ الله يا سياد . والرد على
السائلين عند عدم إعطائهم من عباراته في مصر : « على الله - ربنا يديك -
ربنا يرزقك . وسمعت من ذلك في ليبيا : « ربنا يثوب » « ربنا يثوب »
« يثوب » .

٣ - ومما يكثر استعماله على السنة المصريين لأطفالهن الذكور في ظروف
خاصة : اسم النبي « حارسك » وصاينك - اسم النبي حارسك - ربنا
يحمرك - اسم الله عليك - ما شاء الله . ويقولون في ليبيا إظهاراً
للإعجاب بطفل : « زني يصسون »

٤- وقد تنتقل كثير من العبارات الدينية الى لغة الفِرْل والنعر يش بالنساء
ومن ذلك في العامية المصرية :

يا دين النَّبِي ! - اسْمَ اللّٰه ! - اسْمَ اللّٰه عَلَيْكَ ! - اسم الله عليهم
وعلى مشيتهم ! - يا جمال النَّبِي !

٥ - وكلام « المبخرين » و « المنجّمين » يقوم أكثره على عبارات
دينية ، فالمبخر المصري يقول وهو يعطر المكان ببخوره :

اللّٰهُمَّ صلِّ على النَّبِيِّ - السَّامِحِ لِلنَّبِيِّ الخ

٦ - ومن الملاحظ في أكثر البلاد الإسلامية استهلال كثير من المكتب
والخطب والأعمال بعبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، كما تترتل في افتتاح
كثير من الاحتفالات غير الدينية ، كالاحتفالات بافتتاح أبنية أو معاهد ،
آيات من القرآن الكريم .

(١٠) ومن جوانب دراسة الكلام الديني دراسة مايقوله اصحاب دين عن
اصحاب دين آخر ، وخاصة إن كان هؤلاء وأولئك يتمون إلى نفس
الجماعة ، ككلام المسلمين المعريين عن الأقباط ودينهم ، وكلام الأقباط عن
المسلمين ودينهم .

ومما يلاحظ أن الأقباط ، لهذه الأيام ، يتخرجون في الأغلب من ذكر
للعبارات الدينية المسيحية على ألسنتهم أمام المسلمين ، ولو كانت من أساليب
القسم . كما أنهم يتحاشون بصفة عامة الرد على تحية المسلمين لهم « السلام
عليكم » : « وعليكم السلام » لأنها تحية الإسلام ، ويردون قائلين « تسعیده »

أو « مع السلامة » . أو « نهارك سعيد » ، أو ما أشبه ذلك من عباراتهم ، بينما يستعمل المسلمون المصريون بعض أساليب الصحبة التي بصطنعها الأقباط .

(١١) ومما يتصل بدراسة لغة الدين دراسة كلام الصوفية والزهاد والرهبان ، كلامهم الخاص برياضاتهم النفسية وأحوالهم الدينية ، وكلامهم في سائر الشئون بما فيها الشئون الدنيوية لبيان مدى تأثير كلامهم في هذه الشئون بأحوال تصوفهم ، وزهدهم ونسكهم . ومن المعروف أن للصوفية ، على الخصوص ، رموزاً كلامية خاصة بهم ، وعلى الدارس المفصل أن يحددها ، ويبين منشأها ، ووجود استعمالها ودلالاتها .

(١٢) ودراسة كلام المتنبئين والزنادقة والملاحدة عنصر نستكمل به دراسة اللغة الدينية .

(١٣) وللمواسم الدينية - كالأحتفالات بمولد الرسول ، وموالد « الأولياء » ، وعاشوراء ، وليلة القدر ، وشهر رمضان ، والعيدين - كلامها الخاص ، بل إن كلا من هذه وأشباهاها لينفرد بكلام .

(١٤) وثمة مجال كبير لدراسة لغة الحياة الدينية يتمثل في دراسة الكتابات عن الدين وما يتعلق به ، كدراسة الفلسفة المستعملة في الفقه ، والحديث ، والتفسير ، وعلم الكلام . ومن واجب الباحث اللغوي كذلك أن يبين ما تليجاً إليه الفلسفة الدينية من أساليب الحجاج دفاعاً عن مذهب وهجوماً على آخر ، وإثباتاً لقضايا الدين ، ورداً على المنكرين . . الخ ، وأن يدرس تطور ذلك كله وأشباهاه على مر العصور .

« رحمه الله » . وفي العامية المصرية قد أجيب سائلاً يسألني عنى لا يعلم أنه مات بقولى « البقية فى حياتك » ، أو « الله برحمه » .

٢ - ويتخرج كثير من الأمهات المتصريات من إيراد كلمة « الحصبة » على ألسنتهن ويستعملن بدلاً منها « البروكة » ! والسبب من الأمراض التى تكنى عنه كثير من اللغات بالإشارة إلى شدة السعال والبصق وضعف الصدر وغير ذلك .

٣ - والخوف من « الجن » و « الأرواح » و « الشياطين » و « العقاريت » غالب على معظم الشعوب . والمتصربون لا سيما النساء يدلون على الجن بـ « الأسنيد » ، كما يدلون عليهم أحياناً بـ « الأخوات » إشارة إلى الاعتقاد للسائد بأن لكل من الإنس أخاً من الجن ، وهم عندما يتوهمون أنهم قد يدوسون أحداً من الجن أو قد يقتحمون عليه موضعه يقولون مستأذنين (دستوركم يامميا كمين) ، كما يشيرون إلى « العقاريت » أحياناً ، بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

٤ - إن كثيراً من المجتمعات - أو كثيراً من الأشخاص فى كثير من المجتمعات - لا يزل يخشى ما كان يخشاه كثير من المجتمعات الإنسانية القديمة من حلول الشر والضر نتيجة للتصريح بكلمات وعبارات تدل على الشر والضر كالموت والأمراض والشياطين . ومن مظاهر هذا تلك العبارات التى تطلقها المصرهات لو لفظ أمامهن - ولو على سبيل الحكاية عن غريب - باسم مرض خطير كالسل أو الحمى (الشر بتره وبعيد !) أو (صمسموع النبى !) أو (نيف من بقتك !) أو (السامم احفظننا !) .

• - والعملية الجنسية ، وأعضاء الذكورة والأنوثة ، والحيض ، والتبرز والنبول يوجد لها في كثير من اللغات كنايات تفادياً للتصريح بأسمائها ، وقد يكون شيء من ذلك من قبيل التأدب لا قبيل الخوف .

ب « اللائق » و « غير اللائق » من الكلام

ويتصل بموضوع « الكلام الجرام » تلك العبارات والكلمات التي يعدها مجتمع من المجتمعات « غير لائقة » في مجالات خاصة ، والتي يري في النطق بها جفوة أو غلظة ، أو سوء أدب ، أو ما هو من ذلك بسيل

(١) ومقاييس « اللياقة » و « عدم اللياقة » فيما يتعلق باللغة تختلف باختلاف العصور ، وهي في كل عصر تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد ، وباختلاف اللهجات المحلية ، كما يشترك في تحديد عوامل أخرى كثيرة : فانه يسوغ بين جماعة من الذكور أو بين جماعة من الإناث النطق بعبارات وكلمات ولا يسوغ نطقها لو ضم المجلس شخصاً أو أكثر من الجنس الآخر ، وبعض ما يكلمه الرجل وزوجته حال انفرادها لا يستعمله أحدهما أو كلاهما في ظروف أخرى ، وقد يُنصح الصغار بتجنب عبارات وكلمات لا يكون في تفوه الكبار بها غمضة ، وقد يؤذن للرجال بنطق ما لو نطقت به النساء لكان غير لائق ، كما يؤذن للنساء بنطق ما لو نطق به الرجال لهـد غير سائغ . ويقع فيما يدور بين المريض وطيبه من حديث كلمات وعبارات لا يوردها كل منهما على لسانه في مجالات أخرى .

إن مقاييس اللياقة وعدم اللياقة في المجتمع الكلامي الواحد متعددة ومعقدة وما يزيد البحث فيها صعوبة أنها تتداخل أحياناً مع ما ذكرناه من اعتبارات الخوف المداعية إلى التحريم والتقنين .

وهذه المقاييس متطورة بطبيعة الحال ، وعلى الباحث أن يستقصى العوامل المغيّرة لها ، وأن يبحث عن آثارها النفسية . ومن أهم هذه العوامل انتقال المجتمع من الفصل بين الذكور والإناث إلى إباحة الاختلاط بينهم ، فكثير مما كان غير لائق في الحالة الأولى يرى عادياً في الحالة الثانية . والملاحظ أن ما نالعه المرأة في المجتمعات المتحررة المختلطة من استقلال اقتصادي ، وتقدم في التعليم ، وسعة أفق في التفكير قد أسهم في تحرير كلامها ، وفي تخليصه من كثير من الصفات الأنثوية ، ومن ذلك أن كلمة Legs لا يحمر لها وجه الإنجليزية خجلاً كما كان يحدث لجدها في عصر سابق^(١) .

(١) انظر في مقاييس الباقة وعدم اللياقة المرجع السابق P. 280

الضمائر والمستويات الاجتماعية

(١) يُظهر الكلام المستويات الاجتماعية لأصحاب لغة من اللغات بأكثر من صورة، ومن أهم هذه الصور في كثير من اللغات تصرف الضمائر والصيغ المستندة إلى ضمائر «، واللغات في هذا الشأن متفاوتة فمنها ما لا يفصل ولا يميز في الضمائر كبير تفصيل وتمييز للتعبير عن المستوى الاجتماعي للمتكلم والمخاطب والغائب، ومنها ما يميز شيئاً من التمييز في ضمائر الخطاب على وجه الخصوص، ومنها ما يبلغ باستعمال الضمائر درجة كبرى من التفصيل والتمييز والتعقيد فيتعبر كل من ضمير المتكلم والمخاطب والغائب حسب درجة التكلم في السلم الاجتماعي من الخطاب والغائب.

(٢) وبنا قبل أن نشير إلى ما نجرى عليه الله بية الفصحى في هذا المجال أن نزيل وهما في الأوهام قد يكون سببه إحساس المتكلم بالعربية ودرسها على الطريقة التقليدية بأنها حريصة، بصفة عامة، على التمييز بين المذكر والمؤنث، وعلى ربط كل من هذين بعدد معين « مفرد » أو « مثنى »، أو « جمع ». قد يُظن أن الضمائر يراعى فيها هذا اللون من التمييز، ولكن الاستقرار يظهر أن التمييز لا يتحقق في حالة الضمائر كاملاً، بينما، كما أنه يظهر أن الضمائر إذا نظر إليها باعتبار التكلم والمخاطب والغيب لا تتفق جميعاً في خصائص واحدة بل يتميز كل منها بصفات. وهذا شاهد بخطأ القول بأن لكل لغة « نظاماً » واحداً تسير عليه جميع « أقسامها »، فالحق أننا نجد في كل لغة مجموعة من الأنظمة، كما قد نجد في النظام الواحد تفرعات كثيرة أو قليلة.

١ - فإذا نظرنا في ضمائر التكلم والصيغ «المسندة الى ضمائر التكلم» في العربية وجدنا أنه لا تميز في حالة المفرد بين المذكر والمؤنث فإنه يقال : أنا - كتبت - أكتب - فلا كُتِبَ - كتابي - لي - إني - إياي الخ في حالتي التذكير والعائث، وأنه لا تميز بين «المثنى» و «الجمع» وفي كل حالة بين ما هو مذكر وما هو مؤنث، بل هناك مجموعة من الضمائر والصيغ كل منها يستعمل لكل من المثنى والجمع بنوعيهما (نحن - كـم - كـمنا - كـمُنَّ - فـلنـكـُتـب - كتابنا - لنا - إنا - إيانا الخ) . ونستطيع أن نقول إن العربية - بهذا الاعتبار - تُسَوِّي شيئاً من التسوية بين التكلم والمتكلمة ، كما أنها تُلغِي بعض الفوارق بين المتكلمين والمتكلماتين والمتكلمين والمتكلمات .

٢ - أما في ضمائر الخطاب والصيغ المسندة الى ضمائر الخطاب فالعربية الفصحى تميز بين المفرد والمثنى والجمع ، وهي تميز في كل من المفرد والجمع بين المذكر والمؤنث ، ولكنها في حالة المثنى والمخاطب لا تميز بين مذكر ومؤنث (انظر الجدول التالي) .

٣ - أما ضمائر الغياب والصيغ المسندة الى ضمائر الغياب فإنها تظهر شكلاً آخر يختلف عن ضمائر الخطاب : فهي أولاً تميز بين كل من المفرد والمثنى والجمع ، وهي في حالة المفرد تميز بين ما هو مذكر وما هو مؤنث ، ولكن هذا التمييز في بعض الصيغ يتأتى عن طريق تغيرات في بنية الكلمات جري للنحاة العرب على عدم اعتبارها ضمائر وذلك كالتمييز بين المذكر والمؤنث في كُتِبَ و كُتِبَتْ ، وفي يَكُتُبُ ويَكُتُبُ ، وفي فـلـنـيـكـُتـب وفـلـئـكـُتـب . أما في حالة اللغائمين الاثنين فصورة ما جرى العرف على تسميته بالضمير

واحدة لكلا المذكر والمؤنث ، ولكن صور أنواع من الكلمات « المستندة » إلى الغائبين الاثنين بلحقها تغيير للتمييز بين المذكر والمؤنث مثل كَتَبَها و كَتَبَتْها ، وَبَكَتُها وَبَكَتِها ، وَفَلَمَ كَتَبْتُها وَفَلَمَ كَتَبَتْها ، وفي حالة ضمائر جماعة الغائبين تراعى العربية الفصحى التمييز بين المذكرين والمؤنثين (انظر الجدول التالي)

٤ - ولا يجوز أن يفهم من قولنا إن صورة الضمير قد تكون واحدة بالنسبة للمذكر والمؤنث جميعا مثل « أنا » ، أو المثنى جميعا مثل « هما » أن « أنا » للمفرد المذكر تطابق « أنا » التي للمفرد المؤنث من جميع الوجوه وبجميع الاعتبارات ، فهذا وإن كانتا متطابقتين من حيث الصورة إلا أن الأولى متميزة من الثانية من حيث الوظيفة ، ومن حيث علاقاتها بسائر الكلم في التعبيرات التي تقع فيها ، فانه وإن صحَّ لكل من « محمد » « وزينب » أن يقول « أنا أعلم » إلا أن محمداً يقول « أنا كريم » ، وتقول زينب « أنا كريمة » ، وهو يقول « أنا الذي . . . » بينما تقول هي « أنا التي . . . » وهكذا .

و « نحن » وإن كانت على هذه الصورة للمثنى والجمع بنوعيهما - وإن لم يوجد في بعض التركيبات مميّز شكلي يحددها كافي : « نحن نعلم » فهي صادقة على المثنى بنوعيه والجمع بنوعيه - إلا أن بعض الاستعمالات تحدده أن « نحن » هنا للاتنين أو للاتنين ، أو لجماعة الذكور أو لجماعة الإناث وذلك مثل « نحن اللذان - نحن اللتان - نحن الذين - نحن اللاتي » . الخ .

الجدول التالي يبين توزيع الضمائر والصيغ المسندة إلى الضمائر في العربية
الفصحى حسب التكلم والخطاب والغياب ، وحسب الإفراد والثنائية والجمع
في كل حالة من هذه ، وعلى أساس التذكير والتأنيث . ويتضح من هذا
الجدول ما أشرنا إليه :

الظايب						التكلم					
المفرد		المثنى		الجمع		المفرد		المثنى		الجمع	
الذكر	المؤنث	الذكر	المؤنث	الذكر	المؤنث	الذكر	المؤنث	الذكر	المؤنث	الذكر	المؤنث
أنت	أنت	أنتما	أنتما	أنتم	أنتم	أنا	أنا	نحن	نحن	أنت	أنت
كتب	كتبت	كتبنا	كتبتي	كتبتم	كتبتم	كتب	كتب	كتبنا	كتبنا	كتبتم	كتبتم
يكتب	تكتب	يكتبان	تكتبان	يكتبون	يكتبون	يكتب	يكتب	يكتبان	يكتبان	يكتبون	يكتبون
أكتب	أكتب	أكتبنا	أكتبنا	أكتبكم	أكتبكم	أكتب	أكتب	أكتبنا	أكتبنا	أكتبكم	أكتبكم
كتابك	كتابك	كتابكما	كتابكما	كتابكم	كتابكم	كتابي	كتابي	كتابنا	كتابنا	كتابكم	كتابكم
لك	لك	لكما	لكما	لكم	لكم	لنا	لنا	لنا	لنا	لكم	لكم
إياك	إياك	إياكما	إياكما	إياكم	إياكم	إياي	إياي	إيانا	إيانا	إياكم	إياكم
الح	الح	الح	الح	الح	الح	الح	الح	الح	الح	الح	الح

الظايب					
المفرد		المثنى		الجمع	
الذكر	المؤنث	الذكر	المؤنث	الذكر	المؤنث
هو	هي	هما	هما	هم	هن
كتب	كتبت	كتبنا	كتبتي	كتبتم	كتبتم
يكتب	تكتب	يكتبان	تكتبان	يكتبون	يكتبون
أكتب	أكتب	أكتبنا	أكتبنا	أكتبكم	أكتبكم
كتابي	كتابي	كتابنا	كتابنا	كتابكم	كتابكم
له	له	لها	لها	لهم	لهم
إياه	إياها	إياهما	إياهما	إياهم	إياهم
الح	الح	الح	الح	الح	الح

(٣) ونشرع الآن في عرض تخطيط عام لدراسة الضمائر في العربية الفصحى من حيث اظهارها للمستوى الاجتماعي للمتكلمين والمخاطبين والغائبين ومن أوجب ما على الباحث في هذا الموضوع أن يدرس هذه الدلالة للضمائر في كل عصر على حدة ، وأن يدرسها في كل فن من فنون القول وفي كل وظيفة من الوظائف الكلامية على حدة ، وأن يراعى في كل حالة سياق الكلام والوضع الاجتماعي للمتكلم بالنسبة إلى المخاطب والغائب و . . الخ فمن الخطأ أن نعدل باستعمال الضمير استعمالاً خاصاً في العصر الحديث على أن « العربية » تذهب هذا المذهب أو ذاك ، كما أنه من الخطأ أن نستخلص من دلالة خاصة للضمير نجدها في شعر عصر من العصور أن هذه الدلالة تصدق على الضمير في كل العصور وفي كل وظائف الكلام ، وأنها « لازمة » الأسلوب العربي وقد تظل على هذه الدلالة في المستقبل كذلك .

١ - إن استخلاص الدلالة الاجتماعية للضمائر في العصر الجاهلي تستلزم أن نميز بين أنواع كلامية بينة الاختلاف فندرس ذلك في الشعر مستقلاً ، وفي الخطب مفردة ، وفي الأمثال على حدة ، وفي كل من الوصايا والحكم وحده ، وفي الكتابة وخدها على ندرتها ، وفي لغة الخطاب المعادي إذا صحت لتانصوص في هذا المجال . وقد يستوجب الأمر تقرّبات خاصة بكل قسم من هذه الأقسام . والقراءة السريعة لنصوص العصر الجاهلي تؤدى بنا إلى القول بأن عربية هذا العصر كانت تدل على المستويات الاجتماعية عن طريق الأسلوب العام واختيار الكلمات ، أما الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر فلم يكن يلحقها تغيير .

١ . ومن الأمثلة الشعرية المثبتة لهذا :

أقولُ النابغة في مدح النعمان والاعتذار إليه مع إشارة إلى «الوشاة» ،

ولا تغير في ذلك كله ضمائر التكلم والخطاب والغياب :

أَتَانِي - أَتَيْتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لَمْ تُنَى

وَأَنْكَ الَّتِي تَمَسَّكَ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

مُقَالَةً أَنْ قَدْ قُلْتَ «سَوْفَ أَنَالُهُ»

وَذَلِكَ مِنْ تَلَقُّاءِ مِثْلِكَ رَائِعٌ

لَعَمْرِي - وَمَا عَمِرِي عَلَى يَمِينِ

لَقَدْ نَطَقْتَ بِظُلَا عَالِي الْأَقْدَارِ

أَقَارِعُ عَوْفٍ ، لَا أُحَاوِلُ غَيْرَهَا

وَجَوْهٌ قُرُودٍ تَبْتَنِي مَنْ تُخَادِعُ

أَتَاكَ أَمْرٌ «مُسْتَبِطٌ لِي بِغَضَّةٍ»

لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شَافِعٌ

أَتَاكَ بِقَوْلِ هَئِلِ النَّسِيجِ كَاذِبٍ

وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ

أَتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقُولَهُ

وَلَوْ كُتِبَتْ فِي سَاعِدِي الْجَوَامِعُ

وفي آخر القصيدة :

أَتُوْعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةٌ
وَبُرَكَ عَبْدٌ ظَلَمَ وَهُوَ ضَالِعٌ
وَأَنْتَ رِيحٌ يَنْعِشُ النَّاسَ سَيْبُهُ
وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَاطِعُ
أَبَى اللَّهِ إِلَّا عَدْلَهُ وَوَقَاةُ
فَلَا النُّكْرُ مَعْرُوفٌ وَلَا الْمُرْفُ ضَائِعُ
وَتُسْمَى إِذَا مَاشَيْتَ غَيْرَ مُصَرِّدٍ
بِزَوْرَاءَ ، فِي حَافَاتِهَا الْمَلِكُ كَانِعُ

٧ ومن أبيات لأبي زيد بن العمدة وفيها حديث عن قومه وموقفه منهم وموقفهم منه وعن أخيه وأمه ، ورفاء لأخيه ، ولا تغيير فيها للضمائر أو للصيغ المسندة إلى الضمائر لإظهار هذه المستويات المختلفة :

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمُخْرَجِ اللَّوَى
فَلَمْ يَسْتَيْبِنُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضُحَى النَّعِيدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى
غَوَايَتَهُمْ ، لِمَنِ نَهْمٌ غَيْرُ مَهْتَدٍ

وهل أنا إلا من غزيرة ؟ إن تَنُوتُ
عَنُوتُ ، وإن تَرشُدُ غزيرةُ أرشُدُ

دعاني أخى ، والخيلُ بيني وبينه
فلمّا دعاني لم يجدني يَمُددُ

أخُ أرضعتني أمُّه من لبنها
يشدّي صفاءً بيننا لم يُجددِ

فجئتُ إليه ، والرماحُ تَنُوشه
كوقع الصيَّاصي في النسيج المُمددِ

وكنتُ كذاتِ البو ريمتُ فأقبلتُ
إلى قطعٍ من جلدِ بو مجلّدِ

فطاعتُ عنه الخيلَ حتى تَمَهَّنتُ
وحتى علاني حالكُ للونِ أسودِ

فقال امرئُ آسى أخاه بنفسه
ويعلمُ أن المرةَ غيرُ مُعكّدِ

تَنَادَوْا وَتَمَانَوْا : « أُرِدَّتِ الْخَيْلُ فَارِسًا »

فَقُلْتُ « أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرِّدَى ؟ »

فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ

فَمَا كَانَتْ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

٣ ومن مخاطبة عظيمين قولُ زهير بن أبي سُلمى يمدح هرم بن سنان
والحارث بن عوف :

تَمِينًا لَنَعَمَ السَّيِّدَاتِ وَجَدُّنَا

عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ تَسْحِيلٍ وَمُبِيرٍ

تَدَارِكُنَا عَيْسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا

تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنَشِيمٍ

وَقَدْ قَلَّمَا إِيَّاكَ نُذْرِكَ السَّلَمَ وَاسْمَا

بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ فَسَلِّمِ

فَأَصْبَحَ يَجْزِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ

مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِقَالِ الْمُزَنِّمِ

ولا نظن أن الضمير في « تلادكم » المقصد منه تعظيم هذين السيدين إنما
الأقرب أنه إشارة إلى العشيرة .

٤ ومن الحديث عن الصاحبة ومخاطبتها قول غنيرة بن شداد العبسي :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْخُشُوفَ كَأَنِّي

أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْخُشُوفِ بِمَغْزِلٍ

فَأَجَبَتْهَا « إِنَّ الْمَيَّةَ مَهْلٌ

لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَاسِ الْمَهْلِ

فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَأَعْلِي

أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ »

٢. والضمائر والصيغ المسندة الى ضمائر في الخطب والأمثال والحكم والوصايا

لا تظهر تغييراً بتغير المستويات الاجتماعية .

١ لاحظ الضمائر في خطبة قيس بن ساعدة الإيادي المشهورة : « أيها الناس

اسمعوا وعُصُوا ، إِنَّهُ مِنْ عَاشٍ مَاتَ وَمِنْ مَاتٍ قَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ

آتٍ . . الخ) . وفي حكمه : « . . ولا تشاور مشغولاً وَإِنْ كَانَ حَازِماً ،

وَلَا جَائِماً وَإِنْ كَانَ فَهِماً ، وَلَا مَذْعُوراً وَإِنْ كَانَ نَاصِعاً » .

٢ ومن خطبة منسوبة إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي يقال إنه

ألقاها أمام كسرى أنوشروان يخاطبه فيها فاجتهد طاعتنا بلفظك

واكتظم بأدركنا بحلمك ، وَأَلَيْنَ لَنَا كَيْفَكَ يَلِينُ لَكَ قِيَادَتَنَا . فإنا أناس

لم نَتَوَقَّصْ صَفَاتَنَا قِرَاعُ مَنَاقِيرٍ مِنْ أَرَادَ لَنَا قَضَاً ، وَلَكِنْ مَنَعْنَا حَمَانَا

مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ لَنَا هَضْمًا » .

٣ . ومن الأمثال الجاهلية :

(إن كنت دريحاً فقد لاقيت إهماراً) و (ذكرتني قومك حمارى أهلى)

و (تجشأ لقمان من غير شبع) يضرب لمن يدعى ما ليس يملك .

٤ . وفي لغة الوصايا المنسوبة إلى الجاهلية من والد إلى بنيه أو ابنه ، و من والدة إلى ابنتها أو ابنتها لا تتغير الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر : ومن ذلك الوصية المنسوبة إلى زهير بن جندب الكلبي وصى فيها أبناؤه :

« يَا بَنِيَّ قَدْ كَبُرَتْ سِنِيَّ ، وَبَلَغْتُ حَرّاً مِنْ دَهْرِي ، فَأَحْكَمْتَنِي التَّجَارِبُ ، وَالْأُمُورُ تَجْرِبَةٌ وَاخْتِبَارٌ . فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَقُولُ وَعُودُهُ ، إِيَّاكُمْ وَالْخَوَارِ عِنْدَ الْمَصَاعِبِ وَالتَّوَاكُلَ عِنْدَ النَّوَائِبِ . . . الخ » .

٢ - أما في صدر الإسلام فاستجد أن من الواجب دراسة استعمال الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر في القرآن الكريم وحده ، وفي الأحاديث النبوية وحدها ، وفي خطاب كل من المؤمنين والكافرين للرسول ، وفي رسائل النبي والخلفاء إلى الملوك والأمراء والعمال وحدها ، فضلاً عن دراستها في فنون القول الأخرى من شعر ونثر .

١ . وفي لغة القرآن تميز بين المواضع التي يتكلم فيها الله تعالى باسمه ، من تلك التي يتحدث فيها عن نفسه بضمير الغيبة ، كما نفرد خطابه للرسول من خطابه المؤمنين ومن خطابه الكفار ، ومن حديثه عن أولئك جميعاً ، ونفصل خطاب المؤمنين لله ، من خطاب الكفار له ، ومن خطاب الرسول إياهم .

وسنلاحظ في تكلم الله جل وعلا باسمه أنه يتكلم أحيانا بضمير المتكلم المفرد ، وأحيانا بضمير جماعية المتكلمين ، ومن الواجب ربط كل ذلك بظروفه وتفسير الاختلاف في استعمال الضمير والاستعانة بما كتبه المفسرون وعلماء البلاغة في هذا الشأن .

١ ومن تكلم الله جل وعز باسمه بضمير الجمع قوله تعالى :
« إنا البنا إياهم ، ثم إن علينا حسابهم » (سورة الفاشية) : « لقد خلقنا الإنسان في كبد » (سورة البلد) ، و : « ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين ، وهديناه النجدين . » (سورة البلد) ، وفي سورة البلد كذلك : « والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المسئمة ، عليهم نار مؤصدة . » ، ومن ذلك : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » .

وقوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شئت لك هو الأبر » .

وفي سورة المطففين : « إذا نُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » .

وفي سورة التين : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين » .

وفي سورة النبأ :

« ألم نجعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وخلقناكم أزواجاً ، وجعلنا نومكم سباتاً ، وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، ونبتنا فوكم سباعاً شداداً ، وجعلنا سراجاً وهاجاً ، وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً ، لنخرج به حياء ونباتاً ، وجنات ألفافاً »

وفي نفس السورة « إنهم كانوا لا يرجون حساباً ، وكذبوا
بآياتنا كذاباً . وكلّ شيء أحصيناه كتاباً ، فذوقوا فلن نزيدكم
إلا عذاباً . »

وفي السورة نفسها « إنّا أنذرناكم عذاباً قريباً . »

٢ ومن تكلم الله عز وجل باسمه بصيغة المفرد قوله تعالى في سورة الفجر :
« يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي
عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » . وفي سورة الليل آيات يستعمل فيها ضمير جماعة
المتكلمين وفي آخرها آية يستعمل فيها ضمير المفرد المتكلم ، وهي قوله تعالى :

« فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ، فَسَنُيَسِّرُهُ
لِلْيُسْرَىٰ ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ،
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ، وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ . إِنَّا عَلَيْنَا
لِلْهُدَىٰ وَإِنَّا لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ . فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ،
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . . . » .

وفي سورة الأعلى يتكلم الله تعالى بضمير جماعة المتكلمين ثم يشير إلى ذاته
العلية بضمير المفرد الغائب لا بضمير الغائبير ، ثم يعود إلى الكلام بضمير جماعة
المتكلمين :

« سَتَقَرُّكَ فَلَا تَنْسَى ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ
وَمَا يَخْفَى ، وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى . »

٣ والله تعالى يتحدث عن ذاته في القرآن بضمير المفرد الغائب ومستندا
الصيغ إلى المفرد الغائب ، ولا نجد آية من الآيات يشير فيها الله إلى ذاته بضمير
جماعة الغائبين أو باسناد الصيغة إلى جماعة الغائبين أو بما سوى ذلك ، ومن
هذا ما ورد في الآيات السابقة وما نجده في سورة « عَبَسَ » :

« قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا اكْفَرَهُ ، مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نُطْفَةٍ
خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ
أَنْشَرَهُ ، كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ . »

وإن كنا نلاحظ أنه بعد هذه الآيات مباشرة أخذ الله تعالى في النكلم
باسمه بضمير جماعة المتكلمين :

« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ، إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَاهُ
الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعُنبًا وَقَضْبًا . الخ . »

ومن الأمثلة الشبيهة بهذا قوله تعالى : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » ، . وقوله تعالى : « لَا يَلَا فِ قَرْبَشِ
إِيْلَاقِهِمْ ، رَجُلَةً الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَاتَّيَعَبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِى أَطْعَمَهُمْ
مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » وقوله : « سُبِّحْ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، الَّذِى خَلَقَ

فسوّي ، والذي قدّر فهدى ، والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى . ،
(سورة الأعلى) . وقوله الكريم : « أنه هو يُبْدِيهِ وَيُعِيدُ ، وهو الغفور
الودود ذو العرش المجيد فعّالٌ لما يريد . » (سورة البروج) .

نرى من هذا أن الله عز وجل يتكلم باسمه متخذاً ضمير جماعة المتكلمين
مرة ، ومتخذاً ضمير المتكلم المفرد مرة ، ولكن التعظيم وإعلاء الشأن
لم يمثلا مرة في القرآن ، ولا في غير القرآن ، باستعمال ضمير المتكلمين الاثنين
وقد يعترض على هذا بأن ضمير المتكلمين يطابق في الصورة ضمير المتكلمين
الاثنين ، والرد على هذا أن بعض السياقات تحدد أن المقصود بالضمير هو
ضمير جماعة المتكلمين كما يتضح ذلك من قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر
وإنا لنا له لحافظون » . كما أننا نرى مما تقدم أن القرآن لا يستعمل ضمير جماعة
الغائبين أو الصيغ المستندة إلى جماعة الغائبين عند الإشارة إلى الله جل شأنه ،
ولا ضمير الغائبين الاثنين أو الصيغ المستندة إلى الغائبين .

٤ أما خطاب المؤمنين لله ودعائهم إياه فنجد أن القرآن يستعمل فيه ضمير
الخطاب المفرد ومن أشهر الأمثلة على ذلك فاتحة الكتاب : « الحمد لله رب
العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا
الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا
الضالين آمين » ١

(١) نجد في شعر أمية بن أبي الصلت التقى بيتاً يدعو فيه الله بضمير الخطاب المفرد :

لك الحمد والنعمة والملك ربنا

ولا شيء أعلى منك مجدداً وأجيد

ومن ذلك قوله تعالى :

« وما تَنْقَمُ منا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنا لما جاءتنا ، رَبِّنا
أَفْرِغْ عَلَينا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ » . (الأعراف آية ١٢٦ - قصة
موسى وفرعون والخطاب في « تنقم » (لفرعون) .

هـ وأما خطاب الله للمؤمنين وحديثه عز وجل عنهم فهما مثل خطابهم إياه
لا يستعمل فيهما إلا الضمائر العادية كذلك . ومن أمثلة خطاب الله للمؤمنين
وحديثه عنهم قوله تعالى في سورة الأنفال (آيات ١٥ - ١٧) :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُؤَاوِهِمْ
الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُؤَاوِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرِّءَ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا
إِلَى فِتْنَةٍ فَتَمَدَّ بَاءٌ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ المصير .
فَلَمْ تَقْتُلْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
رَمَى وَلِيْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

و وقوله تعالى في الأنفال آية ٧٢ : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانصَرُوا أُولَئِكَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ
مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهِاجِرُوا ، وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى
قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، ، ،

ومن حديث الله عن المؤمنين : « لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاً اباً » (سورة النبأ) .

وننتقل الآن إلى الضمائر والضميخ المسندة إلى ضمائر التي يستعملها القرآن في الكلام عن العلاقة بين الله عز وجل وبين الكفار .

٦ أما خطاب الكفار لله فتستعمل فيه صيغة المفرد في الأغلب وصيغة الجمع أحياناً ، وأمثلة هذا النوع قليلة في القرآن ومنها قوله تعالى :

« وأنذر الناس يومَ يأتيهم العذابُ فيقول الذين ظلموا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِيبُ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ، أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زُكُورٍ . » ، (إبراهيم آية ٤٤) ومنها :
« ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ، رَبَّنَا ابْصِرْنَا وسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ، » (السجدة آية ١٢) : ومنها قوله تعالى « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعْهُنَّ » (المؤمنون آية ٩٩) .

ومن أمثلة هذا النوع : « وقال الذين كفروا رَبَّنَا أُرِثْنَا اللّٰذِينَ أَضَلَّائِنَا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين » (فصلت آية ٢٩) و : « . . . ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذ نالك ما مدنا شهيداً » (فصلت آية ٤٧) و « قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون (المؤمنون ١٠٦ - ١٠٧) .

٧ وأما خطاب الله للكفار فأمثله في القرآن كثيرة نكتفي منها بقوله تعالى :

« فذوقوا فلي تزيدكم إلا عذاباً » ، (سورة النبا آية ٣٠) . وهذا الخطاب تستعمل فيه الضمائر والصيغ العادية .

٨ . وحديث الكفار عن الله يمثله قوله تعالى :

« إن الله لا يسمع أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يُضِلُّ به كثيراً ويَهْدِي به كثيراً وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين » ، (البقرة آية ٢٦) ، « أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأمانه الله مائة عام ثم بعثه فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير » (البقرة آية ٢٥٩) .

وفي الحديث عن عاد وثمود قال تعالى : « إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أُرسلتم به كافرون » (فصلت آية ١٤) .

٩ . أما حديث الله عن الكفار فمن أمثلة :

« إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآباً ، لا بشيء فيها أحقاباً . لا يذوقون فيها برداً ولا شرباً ، إلا حميماً وغساقاً جزاءً وفاقا ، إنهم كانوا لا يرجون حساباً ، وكذبوا بآياتنا كذاباً » (سورة النبا ٢١-٢٨)
ومن رواية القرآن لكلام الكفار قوله تعالى : « إنا أنذرناكم عذاباً

قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه . ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً »
(النبأ . ٤٠) .

وقوله تعالى رواية لكلام الكفار « يقولون أننا لمردودون في الحافرة ،
إذا كنا عظاماً نخرة . قالوا تلك إذن كرة خاسرة » (النازعات ١٠ - ١٣) .

١٠ . « وأنقرآن الكريم عندنا يخاطب الرسول مخاطبة بصيغة المفرد ومن ذلك :
« يس ، والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل
العزیز الرحیم . »

و « وللضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلا ، وإلا نخرة خير
لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيماً فاوى . . . »

ومن خطاب الله لرسوله وطلبه إليه أن يقول كلاماً : « قل يا أيها
الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم هايدون ما أعبد ، ولا أنا عابد
ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين . »

١١ . « والقرآن عندما يتحدث عن الرسول فهو يتحدث عنه بصيغة المفرد :

« والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق
عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى . . الخ . » و « عبس وتولى
أن جاءه الأعمى ، وما يندريك أمره بزكى ، أوبذ كر فتقمه

الذكرى . » (سورة عبس) .

٢ . وإذا انتقلنا الى الحديث النبوي وجدنا ان الرسول يتكلم بصيغة المفرد دون تغيير ، ويخاطب المؤمنين والكفار على حد سواء مستعملاً الضمائر العادية ، كما ان كلام الناس من مشركين ومؤمنين للرسول لا يظهر فيه استعمالات خاصة للضمير او للصيغ المسندة الى ضمائر .

١ . ومن حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن نفسه :

« إن الرائد لا يكذب أهله . والله لو كذبتُ الناس جميعاً ما كذبتُكم ، ولو غررتُ الناس جميعاً ما غررتُكم . والله الذي لا إله إلا هو إني كرسولُ الله إليكم حقاً وإلى الناس كافة ... وإنكم لأولُ مَنْ أُنذِرُ بين يدي عذابٍ شديد » .

وفي خطبة الرسول الجامعة في حجة الوداع أمثلة كثيرة على حديثه عن نفسه بصيغة المفرد : « » وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحشكم على طاعته ، وأستفتحكم بالذي هو خير ؛ أما بعدُ اسمعوا مني أيتها لكم ، فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا » .

٢ . والناس على اختلاف طبقاتهم كانوا عندما يخاطبون الرسول يخاطبونه مستعملين صيغة المخاطب المفرد ، وإذا تحدثوا عنه تحدثوا بصيغة الغائب المفرد ، ولا يستعملون في جميع ذلك صيغ تكلم خاصة بهذا السياق . والأمثلة النثرية على هذا كثيرة في كتب الحديث ، ومن الأمثلة الشعرية قول قتيلة أخت النضر بن الحارث :

أحمد ولدك خير نجيبة

في قومها ، والقومُ خُلٌّ مُعْرِقُ

ما كان خيرا لك لو تمتت وربما

منّ الفتي وهو المغيظ المَحْتَقُ

فالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ قَتَلْتَ قَرَابَةً

وأحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِنَقًا يُعْتَقُ

لو كنتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ لَفَدَيْتُهُ

بِأَعَزِّ مَا يُغْلَى بِهِ مَنْ يُنْفِقُ

ومن ذلك قول كعب بن زهير :

مهلاً هَذَاكَ الَّذِي أُعْطَاكَ نَاقِلَةَ الْـ

قُرْآنٍ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَّاءِ وَلَمْ

أُذِيبْ ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

ومن الحديث عن الرسول قول كعب بن زهير :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى

وَيَسَّأَلُو كِتَابًا كَالسَّجَرَةِ نَيْرًا

وقول حسان بن ثابت يخاطب أبا سفيان من سادات قريش ويتحدث
عن الرسول :

كَهَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأُجِبْتُ مِنْهُ

وعند الله في ذاك الجزاء

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ ؟

فَشُرُّكُمْ فَشُرُّكُمْ خَيْرُكُمْ الْقِدَاءُ

فمن هجو رسول الله منكم

ويعذبه وينصره سواء

٢ . وإذا نظرنا في كلام الخلفاء الراشدين عن أنفسهم ، وفي خطاب الناس على

اختلافهم أياهم ، وفي حديثهم عنهم لم نجد استعمالاً خاصة للضمائر ١

١ فمن حديث الراشدين عن أنفسهم قول أبي بكر الصديق يوم بويح :

« أما بعد فاني ولّيتُ عليكم ولست بخيركم . . . وأن أقواكم عندي

الضعيف حتى آخذ له الحق ، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه

الحق . أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإذا رأيتموني على حق

فأعينوني ، وإن رأيتوني على باطل فردوني . أطيعوني ما أطعت الله فيكم
فأذاعصيته فلا طاعة لي عليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

وقول عمر بن الخطاب إذ ولي الخلافة : « يأيا الناس إني داع فأمنوا .
اللهم إني غليظٌ فليِّنْ لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار
الآخرة ، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدخارة والنفاق من غير
ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم . . . »

وقول عثمان بن عفان عقب أن بويع : « أما بعد فإني قد حلت وقد
قبلت . ألا وإني متبع ولست بمبدع . ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله
عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثا . . . »

وقول علي بن أبي طالب بعد التحكيم : « . . . وقد كنتُ أمرتُكم في
هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأيت لو كان بطاع لتقصير أمرى ،
فأبيت على إباء المخالفين الجفاة والمنايذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه ،
وضن الزند بقدرجه ، فكنت وإياكم كما قال أخوه هو ازن :

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى

فلم تستبينوا النصيح إلا ضحى الصد

٢ ومن الأمثلة الشعرية على عدم استعمال ضمائر خاصة عند خطاب المخلقاء
الراشدين قول الخطيب المشهور يخاطب عمر بن الخطاب :

ماذا تقول لأفراخ يذى تمرّخ
 زغيب الخواصل لا ماء ولا شجر
 ألقيت كاسهم في قعر مظلمة
 فاعيد عليك سلام الله يا عمر
 أنت الإمام الذي من بعد صاحبه
 ألقى إليك مقاليد الوارى البشر
 لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها
 لكن لا تقسم كانت بك الأثر
 فأحسن على صبية بالرمال مسكنهم
 بين الأباطح تغشاهم بها القرد
 أهلى فداؤك كم بيني وبينهم
 من عرض داوية يرمى بها الخبر

٣ - إن دراسة « الكتابة الديوانية » من أقدم عصورها كفيّة بأن تبين
 لنا الزمن الذى بدى فيه استعمال ضمير المتكلمين للمتكلم الواحد فى الرسائل
 عندما تصدر الرسالة باسم خليفة، أو باسم أمير أو وزير إلى من هو أدنى

منه ، كما أنها كفيّلة بإظهار ما صعب ذلك من إكثار في ألقاب التمجيد والتفخيم ، ومدى تأثير العرب في ذلك بما كان من هذا لدى الأمم الأخرى إن كان ثمة تأثير .

ومن أقدم الكتابات الرسمية التي يتحدث فيها الخليفة ، أو الأمير ، أو الوالي إلى مرءوسيه ، عن نفسه بضمير الجمع ما رواه أبو علي القالي في أماليه عن يونس بن أن زياد بن أبيه كان إذا وليّ رجلاً عملاً قال له :

« خُذْ عَهْدَكَ ، وَسِرْ إِلَى عَمَلِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَصْرُوفٌ رَأْسَ سَنَتِكَ ، وَأَنَّكَ تَصِيرُ إِلَى أَرْبَعِ خِلَالٍ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ : إِنَّا إِن وَجَدْنَاكَ ضَعِيفًا اسْتَبَدَلْنَا : بِكَ لَضَعِيفِكَ وَسَلَّمْنَاكَ مِنْ مَعْرَتِنَا أَمَّا أَنْتَ . وَإِنْ وَجَدْنَاكَ قَوِيًّا خَائِنًا اسْتَهْنَأْنَا بِقُوَّتِكَ ، وَأَحْسَنَّا عَلَى خِيَاتِكَ أَدَبَكَ ، وَأَوْجَعْنَا ظَهْرَكَ ، وَثَقَلْنَا عُرْسَكَ . وَإِنْ جَعَلْتَنَا عَلَى الْجُرْمَيْنِ جَعَلْنَا عَلَيْكَ الْمَضْرَبَيْنِ . وَإِنْ وَجَدْنَاكَ أَمِينًا قَوِيًّا زِدْنَا فِي عَمَلِكَ وَرَفَعْنَا ذِكْرَكَ ، وَكَثَرْنَا مَالَكَ ، وَأَوْطَأْنَا عَقَبَكَ » .

١ - ونحن في العصر الحديث نجد خطاب الملوك والسادة وما يصدر عنهم يختلف عما كان عليه الأمر أيام الجاهلية وصدر الإسلام .

(١) أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي : الأمالي ، الجزء الثاني من ٧٨ - ٨٩ ط .

للكتيبة التجارية ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٥٤

١. فنحن المصريين كنا نشير إلى الملك أيام الملكية بـ « مولانا »
و « مولانا صاحب الجلالة » .

والمراسيم التي تصدر باسمه كانت تبدأ بمثل « نحن فؤاد الأول ملك مصر
رسمنا بما هو آت . . . »

ولم يكن يسوغ في مخاطبة رسمية مخاطبته باسمه بل يقال « يا صاحب
الجلالة » ، « مولانا الملك العظيم » ، « جلالكم » ، « ذاتكم الملكية
الكريمة » الخ .

٢. ولكن للشعر لغته الخاصة فالشاعر يباح له أن يخاطبه باسمه ، وأن
يشير إلى اسمه مجرداً من كل لقب أو مقروناً باللقاب ، كما يباح له أن
يخاطبه بضمير المفرد^١ ، ولذلك فقد أشرنا إلى وجوب دراسة لغة الشعردون
الخلط بينها وبين لغة النثر .

ومن ذلك في شعر شوقي :

العالم والمُلك الرفيع كلاهما

لك يا فؤاد ، جلالة ومقام^(١)

(١) الشوقيات ج ١ . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٣ - ج ٤ طبعة ثانية مكملة نفس

المطبعة سنة ١٩٥١ . ج ٤ ص ١٠

و: «فؤاد» حكمت جيد النيل مأثورة

حذوت في صوغها آباءك أنجبا^١

ومن مخاطبة شوقي للملك فؤاد بكنيته ، وهي طريقة من خطاب الملوك
لم تكن إذ ذاك تستعمل في غير الشعر :

انظر «أبا الفاروق» غرسك هل ترى

بالفرس إلا نعمة ونماء^٢

و: «أبا الفاروق» أقبلنا صفـ وفا

وأنت من الصفـوف هو الإمام^٣

ومن أمثلة مخاطبة شوقي للملك فؤاد معظما ومفخما قوله من بيتين أرسلها
في برقية بميلاد «الأميرة» فتحية :

مولاي ! إن الشمس في عليائها

أنتى ، وكل الطيبات بنات^٤

(١) ديوان ج ١ ص ٨٤

(٢) ديوان ج ٤ ص ٤٠

(٣) ديوان ج ٤ ص ٧٢

(٤) ديوان ج ٤ ص ٧٤

وقوله في مطلع قصيدة يهني بها الدكتور على إبراهيم بمناسبة الإناعام عليه
برتبة «الباشوية» سنة ١٩٣٠ :

يد الملك المكي الكرم
على الملم هزت أخاه الأدب

٣ . ولكن اللغة العربية وإن كثر فيها حديثا استعمال ضمير الجمع عند مخاطبة شخص عظيم أو عندما يكون المتكلم شخصاً عظيماً إلا أنها لا تغير من ضمير المتكلم الذي يخاطب العظيم بياناً لأنه أقل منه شأنًا أو لأنه ندله ؛ كما أن العربية لا تستعمل ضمير الجمع الغائب عند الإشارة إلى شخص ذي جاه .
٤ . ومما هو جدير بالملاحظة أنه يكثر في لغة التأليف سواء كان المؤلف كتاباً علمياً أو أدبياً ، أو مقالة أن يتكلم المؤلفون مصطنعين ضمير جماعة المتكلمين (ونحن نرى - قلنا - أشرنا . . . الخ) ولكن استعمال هذه الصيغة غير لازم فهم يستعملون إلى جوارها صيغة المتكلم المفرد ؛ والدراسة التاريخية لاستعمال هذه الصيغة كفيلة بأن تضع أيدينا على النصوص الأولى التي استعملت فيها .

(٤) وإذا تركنا العربية إلى بعض اللغات الأوروبية الحديثة وجدنا صوراً أخرى من العلاقة بين الضمائر وبين المستويات الاجتماعية .

١ - فالإنجليزية تستعمل ضميراً واحداً هو You عند خطاب أي إنسان أيا كانت منزلته من المتكلم ، وهذا الضمير هو نفسه الذي يستعمل عند خطاب أكثر من شخص ، كما أنه هو الذي يخاطب به المذكر والمؤنث على حد سواء . وبينما الخطاب في الإنجليزية لا يراعى فيه التفريق بين الواحد وما يزيد عن الواحد ولا بين المذكر والمؤنث ، فإن التكلم له ضميران أحدهما للواحد أو الواحدة (I) والثاني لما يزيد عن الواحد مذكراً أو

مؤنثاً أو غيرها (We) ، والغيبة يفرق فيها كذلك بين المفرد وما يزيد عن المفرد ، وهي في حالة المفرد تخصص ضميراً لكل من العاقل والعاقلة وما لا يعقل - It - She - He أما في حالة الجمع فهي تستعمل ضميراً واحداً هو They . ومعروف أن لهذه الضمائر في الإنجليزية تصرفاتها حسب موقعها من الجملة ، والدلالة على الملكية .

وإذا كانت الإنجليزية لا تستعمل في الخطاب عادة إلا ضميراً واحداً هو You - وبذلك يمكن القول ، كما ترى « مرجريت شلاوش » (١) بأنها في هذه الناحية ، لا طبقات فيها ، - إلا أنها تستعمل لخطاب المفرد أحياناً قليلة ضميراً خاصاً هو (thou) وذلك في الخطاب الجدى ، كالنكلام الدينى وألوان من الخطابة والشعر أحياناً . إن الإنجليزية تعبر عن منزلة المخاطب من المتكلم عن طريق الأسلوب العام وانتقاء الكلمات ، ولا يزال يستعمل فيها - وإن كان هذا الاستعمال فيما مضى أكثر شيوعاً - أسماء مجردة تذكر بعد ضمير الملكية المخاطب (your) عند خطاب الملوك والأمراء والأميرات وحملة الألقاب وحاملاتها وذوى المناصب الرفيعة مثل Your Majesty - Your Highness Your Excellency - Your Lordship - Your Ladyship الخ .

وترى الأستاذة مرجريت شلاوش أن الضمير الذى يمكن أن يحل محل هذه الأسماء المجردة (مثل Excellency وما إليها) في اللغات التى تميز بين الجنس هو ضمير المفردة المؤنثة She (هى) ، وأن الكلمة الإسبانية

(1) The Gift of Tongues 'p. 270

المعاصرة المقابلة لـ « You » مأخوذة من اسم مؤنث مرتبط بالتهذب الذي يراعى في دوائر البلاط والأوساط الراقية في « Usted » الإسبانية مختصرة من « vuestra merced » التي تقابل في الإنجليزية « Your graciousness » أو « Your mercy » (١)

٢ — أما الفرنسية فمن المعروف أنها في التكلم لا تميز إلا بين الواحد وما يزيد عن الواحد دون تفريق يقوم على أساس التذكير والتأنيث (Nous - Je) وهذا النوع من التمييز هو الذي تراعيه في الخطاب (Vo. s - Tu) ولكنها في الغياب تضيف إلى هذا التمييز التفريق القائم على أساس التذكير والتأنيث فللا واحد والواحدة Elle . IL وما يزيد عن الواحد مذكراً Ils وما يزيد عن الواحدة Elles . والفرنسي عند ما يخاطب شخصاً لا يأتفه وإن كان في مستواه الاجتماعي أو شخصاً يعالوه في السلم الاجتماعي يخاطبه بضمير الجمع vous ، أما في خطابه أصدقائه ومن لا كلفة بينه وبينهم فهو يستعمل ضمير المفرد Tu .

٣ — والألمانية ٢ أشد من الإنجليزية والفرنسية تدقيقاً وتميزاً في ضمائر الخطاب للعبير عن منزلة المتكلم من المخاطب : فالألماني في خطابه طفلاً أو صديقاً حميماً أو شخصاً يحسن نحوه زراية واحتقاراً يقول « du » ، وقد يبدو غريباً استعمال ضمير واحد في خطاب الصديق وفي خطاب من يحسن المعكم نحوه زراية ، ولكن هذا هو الذي تسير عليه الألمانية ،

(١) انظر المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

والألماني إذ يخاطب غريباً عنه يعبر عما بينهما من بعد باستعماله الضمير Sie (وهذه الكلمة مطابقة شكلاً وأصلاً للضمير الذي يعنى «بالإنجليزية» they «هم»)، أما إذا أراد إظهار الاحترام والطاعة فهو يوجه الكلام إلى المخاطب مستعملاً اسماً غائباً (فيقول مثلاً ما يقابل : هل فرغ السيد من احتساء قهوته ؟) .

(٥) ولكن هذا التفصيل في الضمائر الذي نجده في الألمانية وسائر اللغات الأوروبية ، وفي العربية لا يقاس إلى ما يوجد في بعض لغات الشرق الأقصى كاللغة اليابانية والكورية ولغة الملايو . وهذه اللغات نفسها لا تتفق على صورة واحدة أو متقاربة في تعبيرها عن المستويات الاجتماعية إنما يتمثل في كل منها لون خاص .

١ — فالياباني عند ما يشير إلى فرد من أفراد الطبقة العليا بمنحه تأديبه من أن يستعمل صيغة المبني المعلوم البسيطة فهذه الصيغة تشعر أن أفراد الطبقة العليا مضطرون إلى أن يؤدوا الأعمال بأنفسهم ، ولهذا فهو يختار الـ causative voice معطياً إيحاءً بهذا دور الأشخاص الذين يعملون بواسطة عن طريق الأمر ، أو هو يختار صيغة « المبني للمجهول » كما لو كان الحدث يقع من تلقاء ذاته ^(١) .

٢ — أما اللغة الكورية فهي تعبر بالصيغة التعلية عما إذا كان المتكلم شخصاً رفيع المقام يخاطب شخصاً أدنى منه ، أو شخصاً أدنى يخاطب من هو أعلى منه ، أو شخصاً يكلم قريباً (= مساوياً) له ؛ كما أن هذه اللغة تعبر بصيغة الفعل في الوقت نفسه عما إذا كان هذا الخطاب يحدث باحترام

نفسى ، أو باحتقار ، أو بطريقة محايدة لا احترام فيها ولا احتقار. ^١

٣ — وأما المتكلم بلغة الملايو فعليه أن يحدد أولاً : يُعَدُّ المخاطب منه فى السلم الاجتماعى لأنه حسب هذا التحديد لا يغير ضمير المخاطب ليس إلا بل يغير كذلك ضمير المتكلم وسائر الضمائر . وقد رتب مرجريت شلاوش ^٢ عدد المصيغ التى على المتكلم بلغة الملايو أن يختار من بينها حسب المراكز الاجتماعية للأشخاص الثلاثة الذين يحتاج إلى أن يعبر عنهم ^٣ ، ونحن نقل عنها هذا الجدول فيما يلى :

(١) المرجع السابق pp. 271-272

(٢) المرجع السابق 270-271

(٣) راجع ١٠ يتعلق بضمير فى الفصل الذى كتبه (بيتر سن) بعنوان Person فى كتابه (Philosophy of Grammar PP. 212-225)

وانظر بصفة خاصة كلامه عن « الشخص الرابع » . وراجع الفصول التى كتبها المؤلف عن الشخص والضمائر فى كتبه :

هو ، هي ، هما من هم	أنت ، أنتما أنتم أنتم	نحن	الشخص المتكلم
dia ia	êngkau	kita :aku	فلاح يكلم فلاحاً آخر
dia ' ia	êngkau	kita :aku	شخص أعلى يكلم شخصاً أدنى باستعلاء
dia ' ia	awak, kamu	kita :sahaya	شخص أعلى يكلم شخصاً أدنى بطريقة عادية
(hamba) tuan	(hamba) tuan	(tuan) hamba	شخص عال يخاطب أقرانه بركة
tuan	tuan	ktia : sahaya	جميع الطبقات في خطابهم الأوروبيين
tuan : êncle'	tuan , êncle'	kami	شخص من الطبقة التي تقل عن طبقة النبلاء مباشرة يخاطب قريباً له
dato'	dato'	(dato') hamba (dato') sahaya	رجل عامي لرئيسه
êngku raja :têngku	êngku têngku	patek	{ رجل عامي لـ (راجا) { راجا لـ (راجا) آخر أعظم منه
tuan-ku :yam-tuan	tuan-ku	patek	رعية للسلطان
الاسم واللقب	sahabat beta	beta	اللغة الأدبية

ملاحظة : للصوت الممثل في الجدول بالحرف e مثلته المؤلفة في الأصل بالحرف c وفوقه ما يشبه رقم ٧ . ونظراً لتمذر هذا الحرف عندنا فقد عدلنا عنه إلى الشكل المستعمل في الجدول .

التطور اللغوي وصلته بالاجتماع

نتحدث الآن عن جوانب من تطور اللغة واللغات مبدئين هــذا
للتطور والعوامل الاجتماعية من صلات ، فنعرف بما يحدث من استمرار لغة
على الألسن وانقطاع أخرى ، ومن ظهور « لغة عامة »^١ عن لهجة أو مجموعة
من اللهجات (وهو ما يعرف بالتوحيد اللغوي) ، ومن احتكاك بين لغات
ولهجات يحدث آثاراً فيها مع بقائها جميعاً على الألسنة .

أ - بقاء اللغات وموتها

(١) نوصف لغات بأنها « حية » وأخرى بأنها « ميتة » . والحق أن
هذه الحياة وذلك الموت نسبيان يقاسان باستمرار استعمال هذه اللغات ، أو
بانقطاع دوراتها على الألسن . إن أبة لغة من اللغات هي نظام معين من
النظم الاجتماعية ، وهي بهذا الاعتبار خاضعة لتطور مشروط بتطور
الجماعة التي تتكلمها ، وأبة لغة باعتبارها نظاماً من العلامات التعسفية المتواضع
عليها لا يقوم لها وجود إلا إذا استعملتها جماعة من الجماعات .
(٢) وأشهر ما يساق من الأمثلة على « موت » اللغات هو اللغة اللاتينية . ولكن
اللاتينية لم تمت في الحقيقة . إنها لم تمت من الناحية التاريخية ، بل أصابتها

(1) Common Language

(٢) انظر في هذا :

Jean Perrot : Linguistique, pp 123 . 124

Jaapersen : Mankind pp. 44- 45

تغيرات عميقة أنتجت أشكالاً حديثة لها أبرزها البرتغالية^١ ، والقشتالية^٢ ،
ولغة قطالونيا^٣ و لغة بروفانس^٤ ، والفرنسية والإيطالية ولغة رومانيا^٥ ،
والإسبانية . وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أننا نحس إذا نظرنا إلى
الأشكال الحديثة لللاتينية بأنها لغات مختلفة .

(٣) ومن اللغات التي توقف الناس عن استعمالها اللغة الغالية^٦ التي
أخذت تزول شيئاً فشيئاً إلى أن حلت محلها اللاتينية^٧، ومنها لغة «كورنوال»^٨
وهي لغة كلتية الأصل كان يتكلمها أهل الجزر البريطانية إلى أن حلت
محلها اللغة الإنجليزية . ومن ذلك اللغة القبطية في مصر ، والبربرية في أقطار
كثيرة من شمال أفريقيا ، فقد حل محل هاتين اللغتين لغة العرب الفاتحين .

(٤) واللغة الهندو أوروبية العامة انبثق عنها عدد كبير من اللغات منها
ما بعد أصلاً أقرب للغات كثيرة ، وكذلك الشأن في اللغة السامية العامة وفي
اللغة الإسكندنافية العامة التي انبثق عنها الأيسلندية^٩ ، واللغة النورسية^{١٠} ،
والنرويجية ، والسويدية ، والدانمركية . واللغة الجرمانية الغربية العامة ظهر
عنها الإنجليزية ، والألمانية ، والهولندية^{١١} .

Portuguese	(١)
Castilian	(٢)
Catalenian	(٣)
Provençal	(٤)
Roumanian	(٥)
Gaulish	(٦)
Cornish	(٧)
Icelandic	(٨)
Foeric	(٩)

(١٠) فيما يتعلق بتصنيف اللغات وتطورها راجع ما كتبه (انطوان ميه) بعنوان :
Introduction A La Classification Des Langues (Linguistique Historique Et
linguistique Générale, Tome II, pp. 53-69) ،

ب - التوحد اللغوي

(١) في حياة اللغة ميلان متعارضان: أحدهما نحو التقسم إلى لغات ولهجات، والثاني نحو الوحدة المتزايدة الاتساع . وهذا التقسم والتوحد كلاهما فعل أحداث تؤثر في الجماعات. ويرى بعض اللغويين أن الاتجاه نحو التقسم أقوى من الاتجاه نحو التوحد، وأن الاتجاه الأول هو عملية التطور الطبيعية للغة، ومن هؤلاء اللغويين « ويسلد »^١ الذي يقرر أن اتجاه اللغة هو نحو التنوع اللانهائي . وهؤلاء اللغويون يستشهدون على رأيهم بأدلة كثيرة من بينها أنه ما ظهرت لغة عامة إلا تقسمت في لغات كثيرة .

ولكن « يسپرسن » يرى أن هناك قوى لا يجوز التغافل عنها تعمل في الاتجاه المضاد، وأن هذه القوى الموحدة كانت في العصور التاريخية أقوى في حقيقة الأمر من القوى المقسمة، وإنها كذلك في الوقت الحاضر على وجه الخصوص، وستكون كذلك يقينا في المستقبل،^٢ . ومما يستشهد به يسپرسن أن عدد اللغات الآن، إن كان أكثر منه في بعض العصور الماضية إلا أن عدد المتكلمين بلغة من اللغات المنبثقة عن لغة عامة - في عصرنا المزدهم بالسكان ازدحاما لم يعرف من قبل - هو في معظم الحالات أكثر أضعافا

وبعنوان

(le Développement Des Langues op. cit.) pp. 70 83)

وراجع ما كتبه في الجزء الأول من قس الكتاب بعنوان

Convergence des Développements Linguistiques (pp. 60 75)

H. . Wyld (١)

Jespersen: Mankind...p. 44 (٢)

مضاعفة من مجموع الذين كانوا يتكلمون تلك اللغة العامة . ومن أمثلته على هذا أن عدد من كانوا يتكلمون الجرمانية الغربية العامة ضئيل جداً بالمقاييس إلى المائة والخمسين مليوناً الذين يتكلمون الآن الإنجليزية ، والخمسة والسبعين مليوناً الذين يتكلمون الآن الألمانية ، وعشرة الملايين الذين يتكلمون الآن الهولندية . ثم يعود يسبرسن فيحتزب بعض الاحتراز مقررأ أنه أياً ما كان الحال فالواقع أن الميل جد قوى نحو أن يكون عدد المتكلمين بلغة واحدة ونفس اللغة أكبر بكثير منه في أى زمن مضى .

(٣) أما العوامل المعنية على ظهور لغة عامة وعلى نشرها فكثيرة متعددة متشابهة . وذلك لأن الحياة الاجتماعية تقوم على العمل المشترك لقوى كثيرة مختلفة . وهذه العوامل تختلف طبيعة وقوة ودرجة ، فقد تكون سياسية ، أو اقتصادية ، أو قومية ، أو أدبية ، أو غير ذلك .

ودراسة ظهور اللغات العامة التي تكونت في العصور التاريخية تبين أنه لم يحدث في حالة من الأحوال أن كان ظهور اللغة المشتركة أو العامة راجعاً إلى عامل فرد ، وإنما لتبين كذلك أنه من العسير في كثير من الأحوال معرفة أى العوامل كان أقوى أثراً في تكوين اللغة العامة أو في إذاعتها .

ولذلك فسنعرض فيما يلي أهم العوامل ذات الأثر في تكوين اللغات العامة ونشرها ، دون أن يعنى هذا بالضرورة أن هذه العوامل لا بد من توفرها في كل حالة .

١ - يعتمد لتوحيد اللغوى دائماً على الاتصال والاختلاط وعلى الاشتراك في الحياة . والاتصال للفعّال في توحيد اللغة قد ينشأ عن حرب تسبب اختلاط سكان ينتمون إلى أما كن مختلفة ذات لهجات مختلفة ، وقد ينشأ من عقد الأسواق الموسمية ، وعن المصاهرة بين أصحاب اللهجات المختلفة ، هذه المصاهرة التي يدعو إلى قيامها ظواهر اجتماعية وتقسية . وللدن دوره الهام في قيام اللغات العامة ، فالأعياد والاجتماعات الدينية الكبرى تؤلف بين الناس قاصيهم ودانيهم ، ومن ذلك أثر اجتماع عرب الجاهلية في مكة خاصة في ظهور اللغة العربية المشتركة ، وما كان لمعبدى دلفى^(١) ، وأولمبيا^(٢) ، في اليونان - وكانا مزار جميع الهيلينيين - وللألعاب الأولمبية عند اليونان التي كان لها دلالة دينية . وللعكنيسة دورها الهام في توحيد اللغة في كثير من البلدان ، وإن كانت أحياناً معرقلاً للتوحيد اللغوى عندما تحتفظ بلغة قديمة .

٢ - أما الأدب لاسيما الشفوى فمن أكبر القوى العاملة على تكوين اللغات العامة واستفاضتها . فالرواة والقصاص والمنشدون والمغنون كانوا ينقلون بأديهم من قبيلة إلى قبيلة ، ومن بلاط ملك أو أمير إلى بلاط إغيره ، ولقد كانوا مضطرين في كثير من الأحوال إلى أن يستعملوا نوعاً من الكلام العام يفهم جوهره أصحاب اللهجات المختلفة الذين يعرضون عليهم أديهم . وكثيراً ما كانوا يحدون إلى أن يسقطوا من كلامهم ما قد يستعصى على الإدراك من عناصر لهجتهم المحلية ، وهكذا تتكون لغة أدبية عامة . ولقد وجدت في

(١) Delphi
(٢) Olympia

١٧٢

أيرلندا في العصور الوسطى لغة عامة من هذا النوع كان أعظم عامل في ظهورها راجعاً إلى تأثير القصص، وهكذا كان الشأن في لغة الأدب اليوناني القديم: نشأت كل فنون الأدب اليوناني - ما عدا المأساة - في المستعمرات اليونانية فيما بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد، ولقد كان بين هذه المستعمرات تبادل قوى، ولغة هذه الآثار الأدبية لا تطابق لغة بلدة خاصة فهذه الآثار الأدبية لم تكن موجهة إلى بلدة واحدة بل إلى مجموعة من البلدان، وإلى اليونان كلها في واقع الأمر. نعم إن كل فن من فنون الأدب اليوناني كانت لغة الخاصة مصطبغة بلغة ذلك الإقليم الذي ظهر فيه لأول مرة، ولكن مثقفي اليونان في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد كانوا يفهمون النصوص الأدبية اليونانية وإن كانت مؤلفة بلهجات جد نائية.

وإن أثر الأدب في تكوين اللغات العامة وانتشارها يصحبه ظروف اجتماعية خاصة سياسية واقتصادية وغيرها. أما القول بأن لغة عامة قد كونها أديب واحد فهو قول غير صحيح. ومن ذلك الاعتقاد الذي كان سائداً أن الإيطالية قد كونها «دانتى»^٢، والإنجليزية كونها «تشوسر»^٣، والألمانية كونها «لوتر»^٤، والدانيمركية كونها «كريستين بدرس»^٥. فقد أظهر البحث أن كل لغة من هذه كانت مكونة قبل أن يخطط هؤلاء حرقاً. ولكن أهمية

Saga Men (١)

Dante (٢)

Chaucer (٣)

Luther (٤)

Christina Pedersen (٥)

هؤلاء الأعلام أنهم دفعوا ما كان متحركاً من قبل فقد اعتبروا نماذج أدبية ، وأخذ يقلد لغتهم أناس ما كانوا لولاهم ليتكلموا أو يكتبوا اللغة العامة .

٣ - وأما الحالة السياسية فذات أهمية قصوى فيما يتعلق بالعمل على التوحيد اللغوي أو على عرقلة . فإذا قدر لولايات كل منها مستقل ولكل لهجته أن تتحد تحت حكم واحد كانت الفرصة مواتية لظهور لغة عامة : فالحكومة الواحدة مضطرة إلى أن تتخاطب سكان البلاد أجمعين على اختلاف لهجاتهم ، كما أن مقر الحكم من شأنه أن يستهوي الطامحين من مختلف الولايات ، وهؤلاء سيجدون أنفسهم مضطرين إلى التخلي عن كثير من خصائص لهجتهم المحلية . وقد لوحظ أنه حيث تكون الحكومة مركزية إلى حد كبير تنتشر اللغة العامة ، وذلك شأن الإمبراطورية الرومانية القديمة بلغتها اللاتينية الرسمية .

أما ألمانيا التي ظلت قروناً ولايات مستقلة سياسياً وبدون عاصمة فهي مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة . فقد حدث حتى بعد ظهور اللغة الألمانية العامة - التي كان يعمل على ظهورها ، من قبل اتحاد ألمانيا ، قوى أخرى موحدة - أن اللغة العامية التي يتكلمها متعلمو الألمان حتى في أيامنا هذه أكثر تلوناً باللهجات المحلية إذا قيست بعاميات المتعلمين في معظم البلاد الأوروبية الأخرى . ومن العوامل ذات الأثر في ظهور اللغة الألمانية « لغة المحاكم » ، السكسونية التي كانت تقلدها محاكم أخرى بما فيها محاكم النمسا^١ التي أصبحت شبه لغة كتابية عامة رسمية .

ثم كانت ترجمة « لوثر » للكتاب المقدس ، هذه الترجمة التي كانت كبيرة الأثر حتى في البلاد الكاثوليكية ، بأسلوبها الحى الجديد الطيعى ، وباختيارها للتعبيرات التي لم تكن ملكا خالصا لإقليم ألماني بعينه . ولم يقتصر الأمر على لغة الكتابة فقد كانت ثمة عوامل تعين على نشر لغة الكلام العامة . ومن ذلك أن لغة الكلام الألمانية العامة قد أدخلتها في المناطق الشرقية من ألمانيا طبقة عليا من طبقات المجتمع ، وكانت السلافية^١ لغة الكلام في هذه الأقاليم من قبل . وكانت هذه الطبقات العليا تتكلم الألمانية بصورة بالغة الدقة ، إذ كانوا يحسون أن عليهم أن يتكلموا « كلاما صحيحا » وألا يرسلوا أنفسهم على سجيتهما شأنهم في بلد صغير في سكسونيا^٢ ، أو تورينجيا^٣ أو بافاريا^٤ .

١ - ومن أهم العوامل المساعدة على تكوين لغة عامة وانتشارها في المجتمعات الحديثة ، الخدمة العسكرية ، والمدارس والمعاهد والجامعات فهي تتيح الاتصال بين أشخاص من أقاليم مختلفة ذوى لهجات مختلفة ، وهكذا يفسح المجال لظهور كلام مشترك .

أما السينما والاذاعة والتلفزيون والصحافة فهي من أكبر وسائل نشر اللغة العامة في العصر الحديث ، فكلامها المنطوق والمكتوب يوجه إلى أصحاب اللهجات المختلفة ، فينبهه من حدة الاختلافات المحلية في اللغة .

Slavonic	(١)
Saxony	(٢)
Thuringia	(٣)
Bavaria	(٤)

هـ - وظهور المدن الكبيرة قديماً وحديثاً - وقيامها راجع إلى ظروف اجتماعية خاصة - خطير الأثر في توحيد اللغة .

فالدور الذي قامت به أثينا وروما قديماً في تكوين اليونانية واللاتينية وإذا عتقنا دور عظيم، ولو لم تكن الاعتبارات السياسية وغير السياسية التي شاركت في ظهور هاتين اللغتين فقد كانتا ستقومان بهذا الدور . ذلك لأن المدن تجذب جماعات من الناس من أقاليم متفاوتة متباعدة فضلاً عن اجتذابها ألساً من ضواحيها المتاخمة لها . وينتج عن اختلاط هؤلاء المهاجرين بعضهم ببعض ، وعن اختلاطهم بالسكان الأصليين أن تصقل لغة الجميع، وأن ينتهي الأمر بأن يتكلم سكان المدينة الكبرى بطريقة لا تنتظر من موقعها الجغرافي ؛ فالكلام العام المشترك لأثينا لم يكن أتيكياً^١ خالصاً ، والكلام العام لروما لم يكن كلام سكان روما الأصليين ، والكلام العام للندن وباريس في العصر الحديث ما هو بلندينى خالص أو باريسى خالص . إن هذه اللغات العامة ظهرت في أثينا وروما ولندن وباريس ولكنها لم تظهر بفضل أثينيين ورومانيين ، ولندنيين وباريسيين^٢ .

جـ - التآثر الاحتكاك بين اللغات واللهجات :

(١) تحدث أحياناً اتصالات بين اللغات واللهجات نتيجة للاتصال بين

(١) Attic

(٢) انظر فيما يتعلق بالموامل المصينة على التوحيد اللغوى :

Jespersen, Mankind, pp.46-56

وراجع ما كتبه أنطوان ميه بعنوان :

Différenciation Et Unification Dans Les Langues (Linguistique Historique Et Linguistique Générale, pp.100-129)

الجماعات للناطق بها دون أن ينشأ عن ذلك حلول لغة محل أخرى ، وهذه الاتصالات لها آثارها اللغوية في اللغات التي يحتك بعضها ببعض ، وقد تكوّن هذه الآثار أقوى ظهوراً في إحداها .

١ - ومن ذلك كثرة الكلمات العربية في اللغة الإسبانية نتيجة لفتح العرب إسبانيا وإقامتهم بها قروناً .

٢ - ومنه ما في العربية الفصحى منذ الجاهلية من كلمات حبشية ورومية وهندية وسواها لما كان من اتصالات مختلفة الوسائل بين العرب وبين أصحاب تلك اللغات . والدخيل الفارسي قد ازداد في العربية بعد الإسلام خاصة ثمرة لازدياد الاحتكاك بين العرب والفرس .

٣ - والفارسية أخذت من العربية بعد الإسلام وكان من أظهر ما استعارته مصطلحات عربية علمية ودينية .

٤ - وكثر الدخيل اليوناني في العربية لما نقل العرب إلى لغتهم فلسفة اليونان وعلومهم .

٥ - وفي العاميات العربية الحديثة كلمات تركية دخلتها بعد أن آلت الخلافة الإسلامية إلى العثمانيين واستمرت فيهم قروناً . كما أن فيها كلمات أوروبية مختلفة الأصول ، وإن غلب أصلها هنا وآخر هناك ، نتيجة الاستعمار الأوروبي للعالم العربي الحديث ولسوى ذلك من الأسباب ، فتكثر في العراق ومصر كلمات إنجليزية الأصل ، وفي سوريا ولبنان وتونس والجزائر كلمات فرنسية ، وفي ليبيا كلمات إيطالية ، وفي أنحاء من مراکش كلمات إسبانية .

٦ - وقد أخذت العامية المصرية في السنوات الأخيرة ، ولا تزال ، تؤثر في سائر العاميات العربية على تفاوت في الدرجة لمكانة مصر حديثاً من العالم العربي : ووسائل نشر المصرية في سائر الأقطار العربية من أهمها الأفلام السينمائية المصرية وأكثرها بالعامية ، والأفلام المصرية تكاد أن تكون الأفلام العربية الوحيدة التي تعرض في كثير للبلدان العربية لتخلف الفن السينمائي في هذه البلاد أو لعدم قيامه أصلاً ، ومن وسائل نشر العامية المصرية ما في الإذاعة والمصحافة المصريتين من قصص وتمثيلات وأغان ومقالات بالعامية ، ومعروف أن هاتين الوسيطتين أثرا فائقا في سائر الأقطار العربية . وثمة وسائل أخرى لانتشار العامية المصرية منها كثرة الوافدين على مصر من البلاد العربية لتلقى العلم في مدارسها ومعاهدها وجامعتها ، وللزيادة والاتجار والإقامة ، ومنها البعثات التعليمية المصرية ، وأهمها في بلاد العرب السعودية ، والكويت ، واليمن ، والعراق ، والسودان ، وليبيا . ولقد نتج عن انتشار العامية المصرية في سائر الأقطار العربية أن صار أهل هذه البلاد ، لا سيما المثقفون منهم وسكان المدن الكبيرة ، أفضل فهم للعامية المصرية من المصريين لعاميات البلاد العربية الأخرى .

٧ - وفي المجتمع الحديث الذي كثر فيه الاتصال بين الأمم وسهل ، نتيجة للانقلاب الصناعي ، والمخترعات الحديثة وسرعة المواصلات وازديادها ولسوى ذلك من العوامل ، نجسد كلمات مشتركة بين كثير من اللغات الأوروبية أصلها إيطالي أو ألماني أو إنجليزي مثلاً ، فانتشرت في هذه اللغات أسماء لوحدات كهربائية مأخوذة من أسماء مخترعيها مثل « أمبير » « فولت » ، « أوم » Ampère - Volt - Ohm يل نجسد كثيراً من

الكلمات الأوروبية تنتشر في لغات غير أوروبية كأسماء بعض المخترعات والآلات مثل راديو - تلفراف - تلففون - تلفزيون - سبينا - فيلم بيانو الخ .^١

(٢) إن كثرة المفردات الدخيلة نتيجة لما يحدث بين اللغات واللهجات من احتكاك ، أمر معروف مقرر من قديم وربما كان أبرز ما يفتش عن هذا الاحتكاك ، وأمكن النظر إلى الآثار الناتجة من الاحتكاك بين اللغات واللهجات قد تغير في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، وفي ضوء علم اللغة الجغرافي ونظرية « الموجات اللغوية » بصفة خاصة . ومن أهم ما أخذ المحدثون من اللغويين يَخوضون فيه هو إمكان تأثير الاتصالات بين لغات الجماعات التي يعتك بعضها ببعض في بنية اللغات

فمن العلماء من يرى أنه حيث تظهر في لغات معجورة من الناحية الجغرافية سمات مشتركة لا يفسرها اشتراك هذه اللغات في أصل لغوي واحد فرد ذلك إلى تأثير بنية لغة منها في سائرها .

١ — ومن ذلك أن الصوتين الصائتين *eu* و *u* (الفرنسية *eu* و *u*) ودرجات مختلفة منها تستعمل في مساحة تشمل الفرنسية ، ولغات من المجموعة الجرمانية الغربية هي الألمانية ، والفلمنكية والهولندية .

(١) راجع ايما يتعلق بالخيل وأسماء وكيفية دراسته الفصول الآتية التي كتبها ليونارد بلومفيلد في كتابه Language :

- 1) Cultural Borrowing (pp. 444 : 460)
- 2) Intimate Borrowing (pp. 461 : 475)
- 3) Dialect Borrowing (pp. 476 : 495)

٢ - ومن الأمثلة التي يستشهد بها على تأثير النظام النحوي للغة في النظام النحوي لأخرى أو أكثر نتيجة للاتصال بينهما أنه في شبه جزيرة البلقان تظهر في اليونانية والبلغارية ولغة رومانيا والألبانية سمات مشتركة تميز كلا من هذه اللغات عن سائر لغات عائلتها ، ومن ذلك استعمال الفعل الذي يعنى « يريد » لتكوين فعل دال على المستقبل (فنى اليونانية مثلا تستعمل عبارة *thélô* و *thélô hina* معناه « أنا أريد » ، وذلك كما فى الفرنسية العامة أو المحلية *il ne veut pas pleuvoir* بمعنى *il ne va pas pleuvoir*) .

٣ - ومن أمثلة الخصائص المشتركة بين اللغات المتجاورة غير المتعمية إلى أصل لغوى واحد ، ما يلاحظ فى معظم لغات الشرق الأقصى من التوسع فى استعمال النغمات استعمالا وظيفيا للتفريق بين المعانى ؛ ومن أن التمييز بين الاسم والفعل فى هذه اللغات تمييز جد ضئيل . وهكذا أخذ اللغويون يتحدثون عن وجود « أجلاف » أو « اتحادات » بين اللغات فبدت أهمية التصور الخاص بالتشابه ^١ (= التقارب = التصاهر) بين اللغات إلى جانب التصور الخاص بالأبوة بين اللغات ^٢ .

(١) بالفرنسية *affinité* (وبالانجليزية *affinity*)

(٢) وانظر *jean Perrot : La Linguistique* pp. 125 : 144

وانظر الفصل الخاص بـ *Le Problème De La Parenté Des Langues* والفصل الذى عنوانه : *Les Parentés De Langues* فى كتاب انطوان ميه : *Linguistique Historique Et Linguistique Générale*, pp. 76 - 101; pp. 102. 109. وراجع ما كتبه « ميه » فى الجزء الثانى من نفس الكتاب :

1) *Le Vocabulaire Dans La Question des Parentés de Langue*; pp. 44 - 46.

2) *Sur Le Degré De Précision Qu'Admet La Définition De La Parenté Linguistique*, pp. 47 - 52.

ولكن بعض اللغويين يميلون إلى القول بأن الآثار الناتجة عن الاحتكاك بين اللغات غير المشتركة في الأصل آثار محدودة لاسيما فيما يتعلق بالبنية اللغوية. فهم يلاحظون أنه أبأ ما كان أخذ لغة من أخرى غير مشتركة معها في الأصل فإن كلا هاتين اللغتين تظل واضحة العلاقة بأصلها. فمن اليسير أن نميز لغة سلافية من آخر جرمانية. ويضيفون إلى هذا أن نسبة الصفات المشتركة بين اللغات غير المنتمية إلى أصل واحد إلى ما حدث بينها من اتصالات، أي إلى تأثير بنية لغة في بنية غيرها، قد يكون أخذاً بالظاهر، وربما كان التفسير الحقيقي أن هذه الصفات ظهرت في اللغة التي يفترض تأثيرها بسواها نتيجة للتطور الخاص بها. هذا التطور الذي ينتج عن العمل المشترك لعوامل كثيرة تكون وحدانيته - دون أن يكون لانصائها بغيرها أثر في ذلك، أي أن هذه الصفات كانت ستظهر لو لم يكن هذا الاتصال^١.

(١) جان بيرو : المرجع السابق

copy



معجم المصطلحات

المصادر

أ - المصادر الإنجليزية

ب - المصادر الفرنسية

ج - المصادر العربية

فهرس الموضوعات

معجم المصطلحات

(A)

Activity	نشاط
Human Activity	نشاط إنسانى
Action	عمل (فعل)
Reflex Action	عمل (فعل) انعكاسى
Social Action	عمل (فعل) اجتماعى
Voluntary Action	عمل (فعل) إرادى
Alphabet	أبجدية ؛ ألف باء
Analogy	قياس
Linguistic Analogy	قياس لغوى
Anthropology	أنثروبولوجيا
Social Anthropology	الأنثروبولوجيا الاجتماعية
Aphasia	أفازيا (الحبسة - العقلة)
Autonomy of Linguistics	استقلال علم اللغة

(B)

Babbling (Cooing;Crowing)	أبابة
Behaviour	سلوك
Human Behaviour	سلوك إنسانى
Choric Behaviour	سلوك جماعى
Linguistic Behaviour	سلوك لغوى

Speech Behaviour	سلوك كلامى
Biology	علم الأحياء (البيولوجيا)
Biological	بيولوجى
Brachycephalic (=round-headed)	مستدير الرأس

(C)

Clinical	كلينيكى
Communication	توصيل (اتصال)
Communion	تشارك
Comparative	مقارن
Comparative Method	المنهج المقارن
Comparative Study	الدراسة المقارنة
Concept	تصور
Conscious	واع
Consciousness	وعى
Consonant	صامت (صوت)، الجمع « صوامت » أو « صامته »
Labial Consonant	(صوت) صامت شفوى
Cooing (Babbling)	بأبأة
Crawling	حبو
Crowing (Babbling)	بأبأة

(D)

Deaf-Mutes	صم بكم
Descriptive	وصفي
Descriptive Study	دراسة وصفية
Descriptive Method	منهج وصفي
Desire	رغبة
Development	نمو - تطور
Diacronic (Diachronistic)	حركي ، متحرك
Dialect	لهجة
Class-Dialect	لهجة طائفية ، لهجة طبقية
Dialect - Splitting	تقسيم لغة في لهجات
Dolichocephalic (=long-headed)	مستطيل الرأس
Dual	مثنى
Dynamic(see:Historical;Diacronic)	نظوري

(E)

Emotion	انفعال
Emotional	انفعالي
Endocrine Organs	الغدد الصم (الغدد المفرزة للهرمونات)
Experience	تجربة
Expression	تعبير
Facial Expression	التعبير بعلامح الوجه

Hand Expression	تعبير يدوى
Ethnology	اتنولوجيا
Ethnological	اتنولوجى

(F)

Feeling	شعور
Function	وظيفة
Social Function	وظيفة اجتماعية
Fuctional	وظيفى

(G)

Genetics	علم الوراثة
Gesture	إشارة

(H)

Historical	تاريخى
Historical Method	منهج تاريخى
Historical Study	دراسة تاريخية
Homophones	الكلمات المتفقة صوتا المختلفة معنى (أى التي بينها « جناس تام »)

(I)

Idea	فكرة (الجمع : أفكار)
Imitation	تقليد ؛ محاكاة
Imparting	توصيل (نقل)
Impersonal	غير شخصي
Individual	فرد
Individualist	متفرد
Infrastructure	بنية سفلى
Institution	نظام (من النظام الاجتماعية)
Intellectual	عقلي (ذهني)
Integration	تكامل
Integrative Method	المنهج التكاملي

(L)

Language	اللغة
Language Disorders	الاضطرابات الكلامية
Comon language	لغة عامة ، لغة مشتركة
Dead Language	لغة ميتة
Little Language	اللغة الصغيرة
Living Language	لغة حية
Secret Language	لغة (لهجة) سرية ، كلام سري ، لغة (كلام) الخارجين على سلطة المجتمع

Undeveloped language	لغة متخلفة
Linguist	عالم لغوى
Linguistic	لغوى (صفة)
Linguistic Change	تغير لغوى
Linguistic Development	تطور لغوى
Linguistic Family	عائلة لغوية
Linguistic Parenthood	الأبوة بين اللغات
General Linguistics	علم اللغة العام
Logic	منطق
Logical	منطقى
Logical Instrument	أداة منطقية
Logician	عالم من علماء المنطق (الجمع: مناطقة)

(M)

Mathematics	الرياضة (الرياضيات)
Mathematical	رياضى
Mathematical Relations	علاقات رياضية
Meaning	معنى
Study of Meaning (see: Semantics)	دراسة المعنى
Meaning	آلى
Mentality	عقلية

Metaphor	(استعارة) مجاز
Metaphorically	(استعارياً) مجازاً ، مجازياً
Modifier	مغيّر
Monologue	مونولوج (الكلام الانفرادي)
Monosyllable	كلمة أحادية المقطع (= كلمة مكونة من مقطع واحد)
Mood	هيئة الفعل
Morpheme	مورفيم: عامل الصيغة (= دال النسبة)
Muscle	عضل
Muscular	عضلي
Mutilation	اختصار أو « قطع »
(N)	
Negation	نفي
Nervous System	الجهاز العصبي
Neurology	علم الأعصاب
Nursery stage	مرحلة المهد
(O)	
Object	موضوع
(P)	
Person	شخص
Personality	شخصية

Philosophical	فلسفى
Phonetics	علم الأصوات اللغوية
Phonetic, Phonetical	صوتى، صوتية (نسبة إلى علم الأصوات اللغوية)
Phonetician	عالم الأصوات اللغوية
International Phonetic Alphabet	الألف باء الصوتية الدولية
Preposition	الحرف (من أقسام الكلام)
Psychic	نفسى
Reduplication	تضخيف
(R)	
Reflection	تأمل
Screaming	صياح
(S)	
Semantics	(علم) الدلالة
Semantic Shifts	تغيرات دلالية
Sensation	إحساس
Sentiment	عاطفة
Society	مجتمع
Social	اجتماعى
Social Fact	ظاهرة اجتماعية
Social Relations	علاقات اجتماعية
Sound	صوت

Speech	كلام
Speech Community	جماعة كلامية (جماعة ذات لغة واحدة)
Speech Defects	عيوب كلامية
Speech-Function	وظائف كلامية
Types of Speech - Functions	أنواع الوظائف الكلامية
Speech-Organs	أعضاء النطق
Speech-Sound	صوت كلامي
Underworld Speech	لغة الخارجيين على ساطة المجتمع
(Secret Language)	لغة (لهجة) سرية أو كلام سري
Stataic	ثابت ، حال الثبات
Srtucture	بنية
Linguistic Structure	بنية لغوية
Social Stucture	بنية اجتماعية
Superstructure	بنية عليا
Stylistics	دراسة (علم) الأسلوب
Syllable	مقطع
Symbol	رمز
Synchronic (Synchronistic)	سكوني ، ساكن ، استقرارى ، مستقر ، حالة الاستقرار
Syntax	نظم

(T)

Taboo	كلام حرام (= التابو)
Talking	تكلم (كلام) ، تحدث
Talking to one's self	تحدث الإنسان نفسه ، (المونولوج)
Tense	زمن الفعل
Thought	فكر
Tone	نغمة
Transmission	نقل

(V)

Verbal Action	حدث (نص) كلامي
Non-Verbal Actions	أحداث غير كلامية
Voice	(١) الجهر
	(٢) صوت الإنسان (للصوت الطبيعي = الحس)
Voiced	(صوت) مجهور
Voiceless	(صوت) مهموس
Vowel	صائت (صوت) ؛ الجمع « صائتة » أو « صوائت »
Single Vowel	صائت مفرد

مصادر البحث

١ - المصادر الانجليزية

- 1) Bloomfield, Leonard : Language.
New York, 1933; Third ed., London, George Allen and Unwin, 1950.
- 2) Bühler, Charlotte : From Birth to Maturity.
Kegan Paul, London, 1937.
- 3) Bühler, Charlotte : The First year of Life.
New York, U.S.A., 1930 (Trans. from German).
- 4) Firth, J. R. : Linguistics and the Functional Point of View
"English Studies" XVI, 1, February, 1934.
- 5) Firth, J. R. : Personality and Language In Society.
The Sociological Review (Journal of the Institute of Sociology,
Ledbury, Herefordshire, England) Vol. XLII, Section Two, 1950
p.p. 37-52.
- 6) Firth, J. R. : Speech
Benn, 1930.
- 7) Firth, J. R. : The Technique of Semantics
Transactions of the Philological Society, 1935.
- 8) Firth, J. R. : The use and distribution of certain English Sounds
English Studies XVII, 1, February, 1935,

- 9) Firth, J. R. : Tongues of Men.
Watts & Co., London, 1937.
- 10) Gesell, A. : Studies in Child Development.
New York, 1948.
- 11) Gesell, A. & others : The first five years of Life
Methuen & Co. Ltd., London, 1940.
- 12) Jespersen, Otto : Essentials of English Grammar.
First Published 1933 ; Seventh Impression, London, George
Allen and Unwin Ltd., 1948.
- 13) Jespersen, Otto : Growth and Structure of the English Language
Ninth Edition, Revised, Basil Blackwell, Oxford, 1948.
- 14) Jespersen, Otto : Language, Its nature development and origin.
First published 1922 ; Seventh Impression, London, George
Allen and Unwin Ltd. 1947.
- 15) Jespersen, Otto : Mankind, Nation and Individual from a Lin-
guistic point of view.
London, 1946.
- 16) Jespersen, Otto : Progress in Language.
London, 1894.
- 17) Jespersen, Otto : The Philosophy of Grammar.
First Published 1924, Fifth Impression, London, George Allen
and Unwin Ltd., 1948.
- 18) Lewis, M. M. : Infant Speech.
Kegan Paul, London, 2nd ed., 1951.

- 19) Lewis, M. M. : Language In Society.
Thomas Nelson and Sons Ltd., Printed in Great Britain, 1947.
- 20) Malinowski, Bronislaw : The Problem of Meaning In Primitive Languages.

Supplement to : The Meaning of Meaning by C. K. Ogden and I. A. Richards ; First Ed. London, 1923. Tenth Ed. London, Routledge & Kegan Paul Ltd., 1949.
- 21) McCarthy, D. : The Language Development of the Pre-School Child.

University of Minnesota Press, U.S.A. 1929.
- 22) Sapir, Edward : Language, an Introduction to the Study of Speech.

New York, Harcourt, Brace and Company, 1921.
- 23) Schlauch, Margaret : The Gift of Tongues.

London, George Allen and Unwin Ltd., Third Impression 1949
- 24) Seth & Guthrie : Speech in Childhood.

Oxford University Press, 1935.
- 25) Shaw, Bernard : Pygmalion.

Penguin ed., 1949.
- 26) Shirley, Mary ; The first two years, a study of twenty five babies.

The University of Minnesota Press, U.S.A., 1933.
- 27) Sommerfelt, Alf ; Recent Trends in General Linguistics.

"Diogenes", Number 1, English Edition PP. 64-70 (A quarterly publication of the International Council for Philosophy and Humanistic Studies, Unesco.)

- 28) Stein, L. ; The Infancy of Speech and the Speech of Infancy
Methuen & Co., London, 1949.
- 29) Stern, W. : Psychology of early childhood up to the sixth year
of age.
G. Allen & Unwin Ltd ., London . 1924.
- 30) Sturtevant, E. H.: Introduction to Linguistic Science
New Haven, Yale University Press «U.S.A.» 1947
- 31) A New English Grammar
Oxford, 1892-98.

ب - المصادر الفرنسية

- 1) Dauzat, Albert: La Géographie Linguistique
Paris, 1922.
- 2) De Saussure, Ferdinand: Cours de Linguistique Générale.
Paris Lausanne 1916.
Quatrième édition; Payot, Paris, 1949.
- 3) Descoendres, A. : Le Développement de l'enfant, de deux à sept ans.
Delachaux & Niestlé, Neuchâtel & Paris 1946.
- 4) Grégoire, A. : L'Apprentissage du Langage, les deux premières années.
Alcan, Paris, 1937.
- 5) Grégoire, A.: L'Apprentissage du langage, la 3ème année et les années suivantes.
Alcan, Paris, 1947.
- 6) Guillaume, P. : L'Imitation Chez l'Enfant.
Presses Universitaires de France, Paris, 1950.
- 7) Meillet, Antoine : Linguistique Historique Et Linguistique Générale.
« Collection Linguistique Publiée Par La Société De Linguistique De Paris, Edouard Champion, 1948
- 8) Meillet, Antoine: Linguistique Historique Et Linguistique Générale Tome II.
1938, Nouveau Tirage, Paris, Librairie C. Klincksieck 1952.
Collection Linguistique Publiée Par La Société De Linguistique De Paris
- 9) Perrot, Jean : La Linguistique.
Ire édition, Presses Universitaires De France; Paris 1953 (Qu^e Sais-Je? 570)

- 10) Piaget, J. : Le Langage et la Pensée chez l'Enfant
Delachaux & Niestlé, Neuchatel & Paris 1923.
- 11) Wartburg, Walter V.: Problèmes Et Méthodes De La Linguistique.
Traduit de l'allemand par Pierre Maillard
Ire édition, Presses Universitaires De France, Paris 1946 .

ج - المصادر العربية

- ١ - إبراهيم أنيس « دكتور » : اللهجات العربية
لجنة البيان العربي القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٢ (الطبعة الأولى
نشر دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالة ، ولا إشارة فيها إلى سنة الطبع)
- ٢ - إبراهيم أنيس « دكتور » : موسيقى الشعر
- ٣ - إبراهيم أنيس « دكتور » : من أسرار اللغة
نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة
- ٤ - إبراهيم أنيس « دكتور » : دلالة الألفاظ
ملتمز الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة للطبعة
الأولى ١٩٥٨
- ٥ - إبراهيم السامرائي « دكتور » : دراسات في اللغة
ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب . مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦١
- ٦ - ابن منظور الأفریقی « جمال الدين مكرم » : لسان العرب :
المطبعة الأميرية - بولاق - مصر
- ٧ - أحمد شوقي : الشوقيات
مطبعة الاستقامة بالقاهرة . الجزء الأول ١٩٥٣ ، الجزء الرابع طبعة
ثانية مكمل ١٩٥١ .
- ٨ - أمية بن أبي الصلت الثقفی : ديوان أمية بن أبي الصلت
جمع بشير يموت ، بيروت ، المطبعة الوطنية سنة ١٩٣٤

٩ — تمام حسان - دكتور : مناهج البحث في اللغة
ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ،
القاهرة ١٩٥٥ .

١٠ — تمام حسان ، دكتور : اللغة والمجتمع
وهو ترجمة لكتاب م . م . لويس
Lewis M, M; Language In Society, Thomas Nelson and Sons.
Ltd., printed In Great Britain.

١١ — صالح الشجاع : اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة
ملتزم الطبع والنشر دار المعارف ، مصر سنة ١٩٥٥ وهو من سلسلة
« منشورات جماعة علم النفس التكاملي » - وهو الرسالة التي نال بها
صاحبها درجة الماجستير ، قسم الفلسفة كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

١٢ — عبد الرحمن أيوب ، دكتور : اللغة بين الفرد والمجتمع
وهو تعريب بتصريف لكتاب إسبرسن Mankind, Nation . . . etc.
ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة لجنة البيان العربي
القاهرة ١٩٥٤

١٣ — علي عبدالواحد وافي « دكتور » : علم اللغة
الطبعة الثانية ، مزيده ومنتقحة ، القاهرة ١٩٤٤ الناشر مكتبة
النهضة المصرية - مطبعة الاعتماد بمصر (ظهرت الطبعة الأولى من هذا
الكتاب سنة ١٩٤١ المطبعة السلفية بالقاهرة) .

١٤ — علي عبدالواحد وافي « دكتور » : فقه اللغة
لجنة البيان العربي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٦ . (ظهرت الطبعة

الأولى سنة ١٩٤١ ، والطبعة الثانية ، مطبعة الاعتماد للقاهرة ١٩٤٤ ،
والطبعة الثالثة ، لجنة البيان العربي (١٩٥٠) .

١٥ - علي عبد الواحد وافي «دكتور» : اللغة والمجتمع

(من سلسلة مؤلفات « الجمعية الفلسفية المصرية » التي يشرف على
إصدارها الدكتور علي عبد الواحد وافي رئيس الجمعية ، والدكتور عثمان
أمين سكرتيرها العام) .

الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ، ملازم الطبع والنشر دار إحياء الكتب
العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٥١ (الطبعة الأولى
أصدرتها نفس الدار سنة ١٩٤٦) .

١٦ - علي عبد الواحد وافي «دكتور» : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل
الطبعة الأولى ، الناشر دار الفكر العربي مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٤٧

١٧ - عمر بن الفارض : ديوان ابن الفارض

نشر وطبع البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣

١٨ - عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص «دكتور» : اللغة

وهو تعريب لكتاب ج . فتدريس :

Vendryes, J.: Le Langage, Introduction Linguistique à l'Histoire,
«Léon ed., Paris 1923».

١٩ - كمال محمد بشر «دكتور» : دور الكلمة في اللغة

وهو ترجمة عن الإنجليزية مع تقديم وتعليق لكتاب ستيفن أولمان

ULLMANN, Stephen: Words and Their Use

دار الطباعة القومية خلف ١٦ شارع كامل صدقي ، القاهرة ١٩٦٢

٢٠ - محمود السمران «دكتور» : الصناعة الشعرية في العصر الجاهلي من حيث الموسيقى وبنية القصيدة.

رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٤٧ مكتوبة على الآلة الكاتبة ومحفوظة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

٢١ - محمود السمران دكتور : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي
نشر دار المعارف بمصر فرع الإسكندرية ، مطبعة ك. بالإسكندرية
الطبعة الأولى ١٩٦٢ .

فهرست

رقم الصفحة

٣

مقدمة الطبعة الأولى

٧

مقدمة الطبعة الثانية

— ١ —

٢٤-٩

وظيفة اللغة

أ — علم اللغة العام : مناهجه ووسائله مستمدة من موضوعه ١٠-٩

ب — النظرية القائلة بأن الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة

١٦-١١

هي توصيل الفكر أو التعبير عنه . . .

(١) أصحاب هذه النظرية قدماء وبعض المناطق

١٣

المحدثين . . .

١٣

١ - رأي « جيتونز »

١٣

٢ - مناقشة « يسيرسن » رأي جيتونز

ج — اللغة وظيفة اجتماعية

رفض التعريف القديم للغة بناء على ملاحظة

٢٤-١٦

أنواع « الوظائف الكلامية » ومنها :

١٧

(١) « المونولوج » (الكلام الانفرادي)

١٨

(٢) استعمال اللغة في « السلوك الجماعي »

١٨

١ - السلوك اللغوي للمصلين في صلاة الجمعة

١٩	٢ - لغة « الدماء »
	(٣) استعمال اللغة في « المحادثات الاجتماعية »
١٩	التي لا غاية من وراءها
٢٠	١ - عبارات التحية المألوفة
٢١	٢ - لغة التأدب »
٢١	٣ - الحديث عن الجو
٢٢	(٤) « اللعب بالأصوات »
٢٣	(٥) استعمال اللغة لإخفاء أفكار المتكلم

— ٢ —

٣٢ - ٢٥	دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة
٣٠ - ٢٥	أ - دراسة اللغة من الناحية الوصفية
٢٥	(١) للكائن البشرى مركز دراسة اللغة
٢٦	(٢) تأريخ التطور اللغوى للشخص فى الجماعة الشخصية وأثرها فى اللغة
٢٨	(٣) العوامل والظواهر الاجتماعية المتعلقة باللغة وبالسلوك اللغوى للشخص - العناصر غير الكلامية (سياق الحال) وأثرها فى المعنى
٣١	ب - دراسة لغة ميتة فى مرحلة من مراحلها

٣١	دراسة تغير المعنى تاريخياً (المنهج التاريخي)
٣٧	المنهج المقارن
٣٣	مسائل هذا البحث

— ٣ —

٥٤ - ٣٤	السلوك اللغوي للطفل
---------	---------------------

٣٩ - ٢٤	أ - مناهج دراسة لغة الطفل
---------	---------------------------

٣٥	(١) أكثر ما كتب عن لغة الطفل قائم على أسس نفسية
----	--

٣٦	(٢) التعريف بمنهج كتاب « اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة » للأستاذ الشماخ
٣٩	(٣) لغة الطفل من وجهة نظر اللغويين

٥٤ - ٣٩	ب - الخصائص العامة للغة الطفل
---------	-------------------------------

٣٩	(١) التجارب الهامة في حياة الطفل لغوياً في رأي « فيرث »
----	--

٤١	(٢) تقسيم « بيرسن » الثلاثي لنمو اللغوي للطفل :
----	--

٤٢	١ - مرحلة الصياح
٤٣	٢ - مرحلة اليأبأة

١. أصوات الطفل في أوائل هذه المرحلة ٤٣
٢. نمو سمع الطفل وتكوينه الإرادى للأصوات ٤٤
٣. ترتيب أصوات الطفل زمنياً ٤٥
٤. إصدار الطفل أصواتاً غير أصوات جماعته الكلامية ٤٦
- ٣ - مرحلة الكلام ٤٧
١. فترة « اللغة الصغيرة » ٤٨
٢. فترة « اللغة المشتركة » ٤٨
١. القوانين الصوتية الفردية للطفل ٤٩
٢. اختلاف قدرة الطفل على نطق أصوات معينة في السياقات الصوتية المختلفة ٤٩
٣. شيوع « الاختصار » أو « القطع » ٤٩
٤. شيوع « التضعيفات » الفردية ٤٩
٥. إدراك نغم الكلام ٥٠
٦. الطفل يتعلم الجانب الصوتي للكلمات مرتبطاً بمعانيها ٥١
٧. إدراك مدلولات الكلمات ٥١
٨. من العوامل المعينة للطفل على تعلم اللغة :
التقليد ، التعطّل ، عناية أهله ، انقراح
بجاء تصحيح أخطائه ٥٢
٩. قياس الطفل اللغوى صوتياً ونحوياً
ومعنوياً ٥٣
١٠. لكل طفل - لكل فرد - لغته ٥٤

٦١—٥٥ اللغة مميز فردى ومميز طبقي

٥٨—٥٥ أ — اللغة علامة فردية مميزة

(١) « الصوت الطبيعي » للفرد (يحس الفرد)

٥٥ ووظائفه

٥٦ (٢) اللوازم اللغوية للفرد

٥٧ (٣) لغة الفرد في تغير دائم

٦١—٥٨ ب — اللغة علامة طبقية مميزة

(١) دلالة اللغة على الطبقة الاجتماعية للمتكلم :

محاولة تغيير الفرد للغة الطبقة (بيجماليون

٥٨ لبرنارد شو)

٦٠ (٢) لغة حديثي الثراء

٦٠ (٣) « اللهجة السرية » أو « الكلام السري »

٦٢—٦٣ اللغة وأصعابها

٦٢ أ — العلاقة (بين البنية اللغوية) و (البنية الاجتماعية)

٦٢ (١) « أنطوان ميه » : من الرواد

رقم الصفحة

(٢) في برونندال : العلاقة بين وجود « الحروف »

٦٣

وبين تقدم المدنية

(٣) ل هومبورجر : الرد على نسبة الأقسام

٦٤

الاسمية إلى عقلية بدائية

٦٤

(٤) التخليص من المثنى وارتباطه بتقدم المدنيات

(٥) تخلف البحث في العلاقة بين البنيتين : من التغيرات

الاجتماعية للكبيرة مالا يستلزم تغيراً في البنية

٦٤

الغوية

٦٨-٦٥

ب — اللغة والجنس

(١) فردريك مولر : تصنيف اللغات حسب المميزات

٦٦

الإثنولوجية

(٢) اعتبار الجنس الهندو أوروبي أسمى الأجناس

٦٦

لسموا لفته

(٣) تبرير النازيين والفاشيين عدوانهم على الشعوب

٦٧

المتخلفة « لغويًا »

٦٧

(٤) لاعلاقة ضرورية بين المميزات الجنسية وبين اللغة

٦٨

(٥) اللغات العامة الكبرى لغات أجناس متعددة

٧١-٦٩

ج — اللغات المتخلفة

٦٩

(١) أثر اللغة في عقلية أصحابها

رقم الصفحة

٧٠ (٢) اللغات « المتخلفة » قادرة على . تطور والتكيف

٧١ د - اللغة والقومية

(١) الاعتزاز باللغة القومية - اللغة وتثبيت القومية

٧١ وإحيائها

٧٢ (٢) معاداة الكلم الدخيل : في الألمانية ؛ في العربية

٧٣ (٣) سماحية الإنجليز نحو الدخيل

٧٤ - ٩٨ اللغة والحياة السياسية

أ - دراسة المصطلحات والتعبيرات الخاصة بكل نظام

٧٤ سياسي

٧٤ ب - لغة الانتخاب

٧٥ - ٧٦ ج - لغة المراسيم

٧٥ د - لغة الحرب

٧٦ هـ - لغة السلام

و - التعبيرات الدلالية التي تصحب الثورات

٧٦ - ٩٤ والانقلابات

الآثار اللغوية للتاريخ الثورى لمصر الحديثة:

- (١) الأثر اللغوى للثورة العراقية ٧٧
- (٢) الأثر اللغوى لثورة ١٩١٩ ٧٧
- (٣) د د ثورة الجيش المصرى ١٩٥٢ ٧٨
- ١ - إلغاء الألقاب، واستحداث لقب «السيد» ٧٩
- دراسة تاريخية للقب «السيد» ٧٩
- ومتصرفاته فى الفصحى والعامية ٨٠
- ١ . فى الجاهلية ٨٠
- ٢ . فى القرآن الكريم ٨١
- ٣ . فى الحديث الشريف ٨١
- ٤ . فى كلام الصحابة ٨٣
- ٥ . فى الشعر العباسى ٨٣
- ٦ . إطلاق «السيد» على العلويين ٨٣
- ٧ . إطلاقه على الصوفى والولى والفقيه ٨٤
- ٨ . استعمال «السيد» فى البلاد الإسلامية ٨٥
- غير العربية ٨٥
- ٩ . إطلاق «سَيِّدى» و «سَيِّدى» فى ٨٥
- العامة الآن على الأولياء والأخيار ٨٥
- ١٠ . إطلاق «سَيِّدى» على كبير السن ٨٥
- والمقام ، وعلى رب الأسرة ٨٥
- ١١ . إطلاق «سَيِّد» فى المصرية على الجد ٨٦
- ١٢ . مخاطبة المسئول : «سَيِّدى» ٨٦

- ١٣ . « سيدى يا سيدى » ٨٦
- ١٤ . « سى » واستعماله الخاصة في العاميات ٨٧
- ١٥ . إطلاق « سيّدنا » (و « سيّدنا »
في العاميات) الآن على الرسول (صلى الله عليه وسلم)
وعلى الصحابة وعلى الأنبياء الخ ٨٧
- ١٦ . إطلاق « السيدة » على المتزوجة ٨٧
- ١٧ . استعمال « ست » وتصرفاتها في
الفصحى والعاميات ٨٧
- ١٨ . إطلاق « السيّد » و « سيّد » على
جماعة من غير المسلمين ٨٨
- ٢ - الأثر اللغوى لتحول مصر من « الملكية »
إلى الجمهورية ٨٩
- ٣ - الأثر اللغوى للقضاء على الأحزاب السياسية ٩٠
- ٤ - كثرة استعمال كلمة « التحرير » ٩٠
- ٥ - استعمال عبارات جديدة دلالة على تنظيمات
سياسية جديدة ٩٠
- ٦ - تغيير بعض أسماء الأعلام ٩٠
- ٧ - الشعور بالأمن نحو كلمات مخوفة ٩٠
- ٨ - استفادة استعمال لغة النظرية الاشتراكية
بعد اتخاذ النظام الاشتراكي في الجمهورية
العربية المتحدة ٩١

- ١ . تاريخ استعمال لغة الاشتراكية في مصر ٩١
- ٢ . دراسة هذا التاريخ ٩٢
- ٣ . أمثلة من قاموس الاشتراكية الوارد في « الميثاق » ٩٢
- ٩ - اكتساب بعض الألفاظ والعبارات دلالات اصطلاحية جديدة (العامل ، الفلاح) ٩٤
- ز - لغة التحالف والتجاوز ٩٥-٩٦
- ح - لغة البيانات السياسية ٩٦
- ط - لغة المعاهدات والاتفاقات الدولية ٩٦-٩٧
- ي - لغة التأثير السياسي في الجماهير ٩٧-٩٨

— ٧ —

اللغة والحياة الاقتصادية

٩٩-١٠٨

- أ - لغة الحياة التجارية ٩٩
- (١) لغة العد ٩٩
- (٢) لغة المساومة ٩٩
- (٣) لغة المزايدة ١٠٠
- (٤) أساليب البائعين والمشتريين والوسطاء ١٠٠
- (٥) لغة الإعلان ١٠٠

- ١ - نداءات الجائعين الجائلين ١٠٠
- ٢ - لغة إعلانات الراديو ١٠٢
- ٣ - « الإعلانات المكتوبة » ١٠٢
- ٤ - « إعلانات السينما والتليفزيون » ١٠٣
- (٦) حصر المصطلحات الخاصة بكل وجه من وجوه النشاط الاقتصادي ١٠٤
- ب - لغة كل من الحياتين الزراعية والصناعية ١٠٥-١٠٨
- (١) دلالة الكلام على الحرفة والطبقة الاجتماعية ١٠٥
- (٢) اختلاف لغة أصحاب الحرفة الواحدة باختلاف العصور ١٠٥
- (٣) أمثال الزراعة والصناع ١٠٦
- (٤) الرموز الكلامية للزراعة والصناع ١٠٦
- (٥) الكلام جزء من العمل ١٠٦
- (٦) أثر الزراعة والصناعة في الاحتفاظ بالكلم القديم ١٠٧
- (٧) أثر الزراعة والصناعة في دخول الكلم الحديث ١٠٧

— ٨ —

- اللغة والحياة الدينية ١٩٠-١٢٨
- (١) الدين لغته ١٠٩
- (٢) الكلام الغامض في لغة الدين ١٠٩
- (٣) الغريب في الشعر الديني لأمية بن أبي الصلت النقي الجاهلي ١٠٩

(٤) دراسة كلام المعبود

(٥) موسيقى الكلام الديني

١ - في القرآن الكريم

٢ - الموسيقى الشعرية عند عمر بن القارص

الصوفي

(٦) الرمز والمجاز في لغة الدين ✓

(٧) لغة الدين - محافظة

(٨) من جوانب استعمال الكلام في الشؤون الدينية في

الإسلام

١ - لغة الأذان والأدعية والصلوات الخ

٢ - لغة الحج

٣ - لغة الموت

٤ - لغة عقد القران

٥ - لغة التهنة

(٩) انتقال العبارات الدينية إلى لغة الأحاديث العادية

اليومية

١ - لغة القسم

٢ - لغة الأسائلين

٣ - لغة النساء

٤ - لغة الغزل

٥ - كلام المبخرين والمنجمين

٦ - استهلال الكتب والخطب والأعمال

(١٠) كلام أصحاب دين عن أصحاب دين آخر

(١١) كلام الصوفية والزهاد والرهبان

١٢٨ (١٢) كلام المتنبيين والزنادقة والملاحدة

١٢٨ (١٣) لغة المواسم الدينية

١٢٨ (١٤) لغة الكتابات عن الدين وما يتعلق به

— ٩ —

١٢٩ الكلام الحرام والكلام غير اللائق

١٢٩ تجنب وتقنيع بعض العبارات والكلمات

(١) التجنب والتقنيع للغويان مائتان في كل
المجتمعات

١٢٩

(٢) عوامل التجنب والتقنيع

١٣٠

(٣) اشتراك كثير من المجتمعات في تحريم كلمات

وعبارات متعلقة بموضوعات معينة

١٣٠

١ - تجنب كلمات الموت

١٣٠

٢ - تجنب الامهات المصريات ككلمتي

« الحصبة » و « السل »

١٣١

٣ - تجنب الكلمات الدالة على الجن والأرواح

١٣١

في مصر

١٣١

٤ - إبعاد الشر

٥ - كنايات العملية الجنسية وبعض الأعضاء

١٣٢

و... الخ.

ب — اللائق وغير اللائق من الكلام ١٢٣

(١) عوامل اختلاف مقاييس اللياقة وعدم

اللياقة

١٢٣

(٢) تطور هذه المقاييس وآثارها اللغوية ١٢٣

— ١٠ —

الضمائر والمستويات الاجتماعية ١٣٤

(١) دلالة الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر على

المستويات الاجتماعية

١٣٤

(٢) الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر في العربية

الفصحى (١ - ٢ - ٣ - ٤)

١٣٤

(٣) الدلالة الاجتماعية للضمائر والصيغ المسندة

إلى ضمائر في العربية الفصحى

١٣٩

١ - في العصر الجاهلي

١٣٩

١ في الشعر الجاهلي

١٣٩

١ التابغة يعتذر للنعمان بن المنذر

١٣٩

٢ دريد بن الصمة عن قومه وأخيه

١٤١

٣ عنزة عن صاحبته ومخاطبتها

١٤٤

٢ في الخطب والأمثال والحكم والوصايا

١٤٤

١ في خطبة لقس بن ساعدة الإيادي

١٤٤

٢ في خطبة لعمر بن معد يكرب أمام كسرى

١٤٤

٣ في الأمثال

١٤٥

١٤٥	٤ . من وصية زهير بن جندب الكلبي أبنائه
١٤٥	٢ - في صدر الإسلام
١٤٥	١ . في القرآن الكريم
١٤٦	١ من تكلم الله تعالى بضمير جماعة المتكلمين
١٤٧	٢ من تكلم الله تعالى بصيغة المتكلم المفرد
	من الجمع بين ضمير الجماعة وضمير المفرد في
١٤٧	سياق واحد
	٣ حديث الله تعالى عن ذاته بضمير المفرد
١٤٨	الفائب
١٤٩	خلاصة
	٤ دعاء المؤمنين الله تعالى بضمير المخاطب
١٤٩	المفرد
١٥٠	٥ خطاب الله تعالى للمؤمنين وحديثه عنهم
١٥١	٦ خطاب الكفار لله تعالى
١٥١	٧ خطاب الله تعالى للكفار
١٥٢	٨ حديث الكفار عن الله تعالى
١٥٢	٩ حديث الله تعالى عن الكفار
١٥٣	١٠ خطاب الله تعالى للرسول
١٥٣	١١ حديث الله تعالى عن الرسول
١٥٤	٢ . في الحديث النبوي الشريف
١٥٤	١ من حديث الرسول (صلعم) عن نفسه

١٥٦	١ من حديث الراشدين عن أنفسهم
١٥٧	٢ من خطاب الناش للراشدين
١٥٨	٣ - في الكتابة الديوانية (رسالة لزياد بن أبيه)
١٥٩	٤ - في العصر الحديث
١٥٩	١ - أيام الملكية
	٢ - الرخص الشعرية في خطاب الملوك والوجهاء
١٦٠	
١٦١	٣ - بقاء ضمائر المتكلم على ما هي عليه
	٤ - استعمال ضمائر جماعه المتكلمين في لغة التأليف
١٦٢	
	(٤) العلاقة بين الضمائر والمستويات الاجتماعية في بعض اللغات الأوروبية الحديثة
١٦٢	
١٦٢	١ - في الإنجليزية
١٦٤	٢ - في الفرنسية
١٦٤	٣ - في الألمانية
	(٥) لغات الشرق الأقصى وتفصيلها في للضمائر المعبرة عن المستويات الاجتماعية
١٦٥	١ - اليابانية
١٦٥	٢ - الكورية
١٦٥	٣ - لغة الملايو
١٦٦	

١٨١-١٦٨ **× التطور اللغوى وصلته بالمجتمع**

١٦٩-١٦٨ **أ - بقاء اللغات وموتها**

١٦٨ (١) اللغات الحية واللغات الميتة

١٦٨ (٢) اللاتينية لم تمت تاريخيا

(٣) من اللغات « الميتة » : الغالية ، لغة كورنوال ،

١٦٩ القبطية ، البربرية

١٦٩ (٤) اللغات العامة « الميتة » وفروعها « حية »

١٧٦-١٧٠ **ب - التوحد اللغوى**

١٧٠ (١) التقسيم اللغوى والتوحد اللغوى

١٧٦-١٧١ (٢) العوامل المعينة على ظهور « لغة عامة »

١٧٢ ١ - الاتصال والاختلاط والاشتراك فى الحياة

١٧٢ ٢ - الأدب لاسيما الشفوى

١٧٤ ٣ - الحالة السياسية

٤ - الخدمة العسكرية ، والمدارس والمعاهد

١٧٥ والجامعات

١٧٦ ٥ - ظهور المدن الكبرى

١٨١-١٧٦ **ج - آثار الاحتكاك بين اللغات واللهجات**

١٧٩-١٧٦ (١) كثرة الدخيل

١٧٧ ١ - الكلمات العربية فى الإسبانية

١٧٧ ٢ - الدخيل فى العربية فى الجاهلية والإسلام

- ٣ - أخذ الفارسية من العربية في الإسلام ١٧٧
- ٤ - الدخيل اليوناني في العربية ١٧٧
- ٥ - الكلمات للتركية والأوروبية في العاميات العربية حديثا ١٧٧
- ٦ - تأثير العامية المصرية في العاميات العربية حديثا ١٧٨
- ٧ - اشتراك كلمات كثيرة في اللغات الأوروبية المختلفة بعد الانقلاب للصناعي ١٧٨
- (٧) تأثير الاحتمكك في بنية اللغات غير المنتمية إلى أصل لغوي واحد : « الأحناف » أو « الاتحادات » اللغوية ١٧٩
- ١ - اشتراك بعض اللغات الأوروبية في بعض الأصوات الصائتة ١٧٩
- ٢ - السمات النحوية المشتركة في لغات شبه جزيرة البلقان ١٨٠
- ٣ - السمات المشتركة بين لغات الشرق الأقصى : (« التشابه » أو « التقارب » أو « التصاهر » بين اللغات) ١٨٠-١٨١